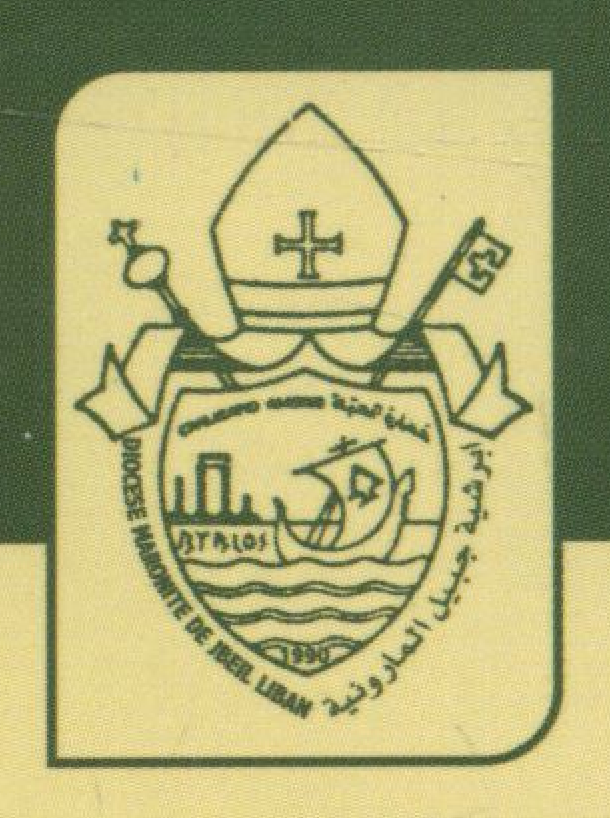


سلسلة التنشئة المسيحيّة

٢٠

«نبشّر الأمم بغنى سرّ المسيح»
(أفسس ٣/٨)

زمن العنصرة

من الأحد التاسع إلى الثامن عشر

✣ ٢٠٠٨ ✣

بشاره الراعي
مطران جبيل

منشورات جامعة سيّدة اللويزة
NDU PRESS

نبشّر الأمم بغنى سرّ المسيح

نبشّر الأمم بغنى سرّ المسيح

زمن العنصرة (من الأحد التاسع إلى الثامن عشر)

تـألـيــف المطران بشاره الرّاعي

منشــورات جامعة سيّدة اللويزة ©

ص.ب.: ٧٢ زوق مكايل – لبنان

تلفون: ٠٩/٢١٨٩٥٠/١

فاكس: ٠٩/٢١٨٧٧١

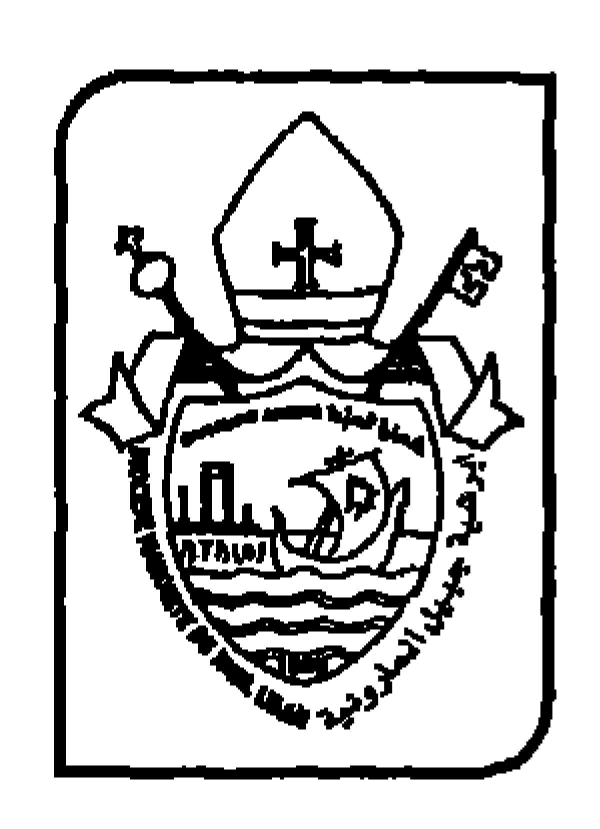
www.ndu.edu.lb

الطبعة الأولى ٢٠٠٨

القيــاس ١٤,٥× ٢١,٥ سم

تـنـفـيـذ مطابع معوشي وزكريّا

ISBN 978-9953-457-24-6



سلسلة التنشئة المسيحيّة
٢٠

«نبشّر الأمم بغنى سرّ المسيح»
(أفسس ٣/٨)

زمن العنصرة

من الأحد التاسع إلى الثامن عشر

✤ ٢٠٠٨ ✤

بشاره الراعي
مطران جبيل

NDU PRESS
منشورات
جامعة سيّدة اللويزة

المحتوى

تقديم ٧

١. الأحد التاسع من زمن العنصرة (٦ تمّوز ٢٠٠٨) ٩
من رسالة القدّيس بولس الرسول: ٢ كورنتس ٥/ ٢٠-٦/ ١٠
مسحة الروح القدس والرسالة المسيحيّة

٢. الأحد العاشر من زمن العنصرة (١٣ تمّوز ٢٠٠٨) ١٩
من رسالة القدّيس بولس الرسول: ١ كورنتس ١٢/ ١-١١
عمل الروح القدس وعمل الأرواح الشرّيرة

٣. الأحد الحادي عشر من زمن العنصرة (٢٠ تمّوز ٢٠٠٨) ٢٩
من رسالة القدّيس بولس الرسول: أفسس ٢/ ١٧-٢٢
الخلاص بالمسيح رسالة الكنيسة لكلّ الشعوب

٤. الأحد الثاني عشر من زمن العنصرة (٢٧ تمّوز ٢٠٠٨) ٣٩
من رسالة القدّيس بولس الرسول: أفسس ٣/ ١-١٣
تدبير الخلاص لجميع الشعوب

٥. الأحد الثالث عشر من زمن العنصرة (٣ آب ٢٠٠٨) ٥١
من رسالة القدّيس بولس الرسول: ١ كورنتس ٣/ ١-١١
الانسان المؤمن عمل الله

٦. الأحد الرابع عشر من زمن العنصرة (١٠ آب ٢٠٠٨) ٦١
من رسالة القدّيس بولس الرسول: ١ تسالونيكي ٢/١-١٣
كلمة الله تنير المسؤوليّات

٧. الأحد الخامس عشر من زمن العنصرة (١٧ آب ٢٠٠٨) ٧٣
من رسالة القدّيس بولس الرسول: ١ تسالونيكي ١/١-١٠
أسس الجماعة المسيحيّة: اختيار وفداء وإنجيل

٨. الأحد السادس عشر من زمن العنصرة (٢٤ آب ٢٠٠٨) ٨٣
من رسالة القدّيس بولس الرسول: روم ٨/١٨-٢٢
السعي إلى مجد حريّة أبناء الله

٩. الأحد السابع عشر من زمن العنصرة (٣١ آب ٢٠٠٨) ٩٣
من رسالة القدّيس بولس الرسول: روم ١٣/٨-١٤
المحبّة جوهر المسلك المسيحيّ

١٠. الأحد الثامن عشر من زمن العنصرة (٧ أيلول ٢٠٠٨) ١٠١
إنجيل القدّيس مرقس ١٢/١-١٢
الكنيسة كرم الله وكرمة المسيح

تقديم

يطيب لي أن أقدّم العدد ٢٠ من سلسلة التنشئة المسيحيّة. معه نبدأ من الأحد الأوّل من شهر تمّوز ٢٠٠٨ حتّى ٢٩ حزيران ٢٠٠٩، السنة البولسيّة. فيكون القسم الأوّل مخصّصًا لشرح نصّ الرسالة من القدّيس بولس وربطها بإنجيل الأحد. ونخصّص القسم الثاني لموضوع جديد هو "البطريركيّة المارونيّة ولبنان". ويواصل القسم الثالث عرض نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وفقًا للخطّة الخمسيّة التي وضعتها الأمانة العامّة ولجنة المتابعة.

إنّ محور السنة اليوبيليّة هو "التبشير بغنى سرّ المسيح" (أفسس ٣/٨) الذي يكشف حقيقة الله والانسان والتاريخ. نأمل أن نستنير جميعًا من هذه الحقيقة المثلّثة، لكي نهتدي بها ونستنير، وبموجبها نرمّم علاقاتنا مع الله وبعضنا مع بعض، ونبني تاريخًا أمجد ومجتمعًا بشريًّا أفضل.

† **بشاره الراعي**
مطران جبيل

الأحـد الـتـاسـع من زمن الـعـنـصـرة

مسحة الروح القدس والرسالة المسيحيّة

من رسالة القدّيس بولس الرسول: ٢ كورنتس ٥/٢٠-٦/١٠

يـا إخـوَتِـي، نـحْـنُ سُـفَـرَاءُ الـمَـسِـيـحِ، وكَـأَنَّ الـلـهَ نَـفْـسَـهُ يَـدْعُـوكُـم بِـوَاسِـطَـتِـنَـا. فَنَسْأَلُكُم بِاسْمِ الـمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ الله! إِنَّ الَّذي مَا عَرَفَ الـخَطِيئَة، جَعَلَهُ اللهُ خَطِيئَةً مِنْ أَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ فِيهِ بِرَّ الله. وَبِمَا أَنَّنا مُعَاوِنُونَ لله، نُنَاشِدُكُم أَلاَّ يَكُونَ قَبُولُكُم لِنِعْمَةِ اللهِ بِغَيْرِ فَائِدَة؛ لأَنَّهُ يَقُول: «فِي وَقْتِ الرِّضَى اسْتَجَبْتُكَ، وفِي يَوْمِ الـخَلاصِ أَعَنْتُكَ». فَهَا هُوَ الآنَ وَقْتُ الرِّضَى، وهَا هُوَ الآنَ يَوْمُ الـخَلاص. فإِنَّنَا لا نَجْعَلُ لأَحَدٍ سَبَبَ زَلَّة، لِئَلاَّ يَلْحَقَ خِدْمَتَنَا أَيُّ لَوْم. بَلْ نُظهِرُ أَنْفُسَنَا فِي كُلِّ شَيءٍ أَنَّنَا خُدَّامُ الله، بِثَبَاتِنا العَظِيمِ فِي الضِّيقَاتِ والشَّدَائِدِ والـمَشَقَّات، فِي الضَّرَبَات، والسُّجُون، والفِتَن، والتَّعَب، والسَّهَر، والصَّوْم، وبِالنَّزَاهَة، والـمَعْرِفَة، والأَنَاة، واللُّطْف، والرُّوحِ القُدُس، والـمَحَبَّةِ بِلا رِيَاء، فِي كَلِمَةِ الـحَقّ، وقُوَّةِ الله، بِسِلاحِ البِرِّ فِي اليَدَيْنِ اليُمْنَى واليُسْرَى، فِي الـمَجْدِ والـهَوَان، بِالصِّيتِ الرَّدِيءِ والصِّيتِ الـحَسَن. نُحْسَبُ كَأَنَّنَا مُضِلُّونَ ونَحْنُ صَادِقُون! كَأَنَّنَا مَجْهُولُونَ ونَحْنُ مَعْرُوفُون! كَأَنَّنَا مَائِتُونَ وهَا نَحْنُ أَحْيَاء! كَأَنَّنَا مُعَاقَبُونَ ونَحْنُ لا نَمُوت؛ كَأَنَّنَا مَحْزُونُونَ ونَحْنُ دَائِمًا فَرِحُون! كَأَنَّنَا فُقَرَاءُ ونَحْنُ نُغْنِي الكَثِيرِين! كَأَنَّنَا لا شَيءَ عِنْدَنَا، ونَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيء!

***

في هذا الأحد الأوّل من يوبيل الألفي سنة للقدّيس بولس الذي أعلنه البابا بندكتوس السادس عشر "**سنة بولسيّة**" من ٢٨ حزيران ٢٠٠٨ إلى ٢٩ حزيران ٢٠٠٩، نبدأ بتخصّص التنشئة المسيحيّة لتعليم القدّيس بولس في رسائل الآحاد طوال هذه السنة، بالارتباط مع تعليم السنة الطقسيّة.

كتب بولس الرسول رسالته إلى أهل كورنتس حوالى سنة ٥٦، بعد أن أقام فيها سنتين من ٥٠ إلى ٥١، وغادرها إلى أفسس. الموضوع الأساسيّ في رسالته الثانية إلى أهل كورنتس هو **الخدمة الرسوليّة** التي يقوم بها، مبيّنًا عظمتها وأصالتها من جهة، ومحدوديّتها وسرعة عطبها من جهة أخرى. لكنّ المسيح المنتصر هو الضامن لنجاح الرسالة. هذا قول يشدّد عزيمتنا نحن المسيحيّين اليوم، ويوطّد رجاءنا بالمسيح وبرسالة الخلاص الموكولة إلى الكنيسة.

■ أوّلاً، شرح نصّ الرسالة وربطها بتعليم الإنجيل

١. المصالحة رسالة المسيحيّين

"**نحن سفراء المسيح للمصالحة**" (٢ كور ٥/ ٢٠)

يؤكّد بولس الرسول أنّ **الله صالح البشريّة مع نفسه بالمسيح**، ولم يحسب للبشر خطاياهم، لأنّ المسيح اشتراهم بدمه، وافتداهم بقبول الصلب عنهم إرضاءً للعدالة الإلهيّة، "فذاك الذي لم يعرف الخطيئة، جعله الله خطيئة لأجلنا، لنصير به برّ الله" (٢ كور ٥/ ٢١).

لقد بدأ بالمسيح ومعه **العهد الجديد**، وهو عهد المصالحة الذي يجدّد كلّ شيء: "الأشياء القديمة مضت، وكلّ شيء صار جديدًا" (٢ كور ٥/ ١٧).

وحدها المصالحة تجدّد العلاقات مع الله وبين الناس. هذه هبة عظيمة من الله بالمسيح: أن يتجدّد الانسان كلّ يوم بالمصالحة. ما أتعس الذي يعيش يومًا بعد يوم في عتيق خلافاته والنزاعات.

لكن المصالحة الاجتماعيّة تبدأ **بالمصالحة الشخصيّة**، مع الله والذات، بهذا الجديد الذي فينا من جرّاء سرّ الفداء والقيامة: "كلّ من هو بالمسيح الآن، هو خليقة جديدة" (٢ كور ٥/١٧).

المسيحيّ سفير المسيح الداعي إلى مصالحة الله والناس: "نحن سفراء المسيح، وكأنّ الله يدعوكم على يدنا... أن تصالحوا الله" (٢ كور ٥/٢٠). فلا يحقّ للمسيحيين، وقد تصالحوا مع الله بالمعموديّة والتوبة، أن يتوانوا عن خدمة المصالحة "لئلاّ تصير باطلة فيهم خدمة الله التي قبلوها" (٢ كور ٦/١). ولا يحقّ لهم أن يكونوا بخلافاتهم سبب عثرة وشكّ "لئلاّ يكون في خدمتنا عيب" (٢ كور ٦/٣)، مهما كانت الصعاب والمحن وأسباب الخلاف والنزاع.

يدعو بولس المسيحيّين "أن يتصرّفوا كخدّام الله بالصبر الكثير على الشدائد والعذابات... بالسهر والصوم... بالأناة والرفق... بالحبّ الذي لا غشّ فيه. وبقول الحقّ بقوّة الله" (٢ كور ٦/٤-٧). ويؤكّد لهم **قيمة الرجاء** الوطيد بالمسيح بالرّغم من المظاهر الخارجيّة، وهذا منطق مناقض لمنطق العالم، فيقول: "كأنّنا مجهولون، ونحن معروفون. كأنّنا مضلّون، ونحن محقّون. كأنّنا أموات، ونحن أحياء. كأنّنا كئيبون، ونحن دائمًا فرحون. كأنّنا فقراء، ونحن نغني الكثيرين. كأنّ لا شيء لنا؛ ونحن نملك كلّ شيء (٢ كور ٦/٨-١٠).

٢. الرسالة المسيحيّة من مسحة الروح القدس

يتلى في هذا الأحد **إنجيل القدّيس لوقا** (٤/١٤-٢١)، عن مسحة الروح القدس والرسالة التي يقبلها الربّ يسوع في بشريّته، لإنجاز عمل الخلاص. فالروح القدس كرّسه كاهن الفداء والخلاص: "روح الربّ عليَّ، مسحني وأرسلني" (لو ٤/١٨). هذه المسحة نالها أيضًا المؤمنون بالمسيح، وقد أصبحوا أعضاء في جسده السرّي بالمعموديّة والميرون، وصاروا شعبًا كهنوتيًّا، يشارك المسيح في كهنوت الفداء والخلاص. هذه الحقيقة أكّدها القدّيس أغسطينوس بقوله: "كما أنّنا ندعى جميعًا مسيحيّين، بسبب المسحة السرّية، كذلك ندعى جميعًا كهنة، لأنّنا جميعًا أعضاء في جسد الكاهن الأوحد" (مدينة الله ٢٠/١٠؛ الإرشاد الرسوليّ: العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، ١٤).

هذه المسحة نالها شاول وأصبح بولسَ الرسول بدعوة واختيار من المسيح، وبصلاة ووضع يد حَننيا عليه: "شاول، يا أخي، إنّ ربّنا يسوع الذي تراءى لك في الطريق، وأنت آت، هو الذي أرسلني لتنفتح عيناك، وتمتلئ من الروح القدس". ولساعته تساقط من عينيه ما يشبه القشر، وانفتحت عيناه. فقام واعتمد (أعمال ٩/١٧-١٨).

وهي إيّاها ينالها الأساقفة والكهنة والشمامسة بوضع اليد والصلاة وحلول الروح القدس في الرسامة المقدّسة. هؤلاء يصوّرهم الروح القدس، في كيانهم الداخليّ، على صورة يسوع المسيح الرأس والراعي، ويشركهم في رسالته، إذ يجعلهم أدوات حيّة بيد المسيح الكاهن الأزليّ، الذي ينتدبهم ليشيّدوا جسده كلّه أي الكنيسة، ويواصلوا باسمه وبشخصه عمله الخلاصيّ العجيب، لترميم الأسرة البشريّة بكاملها، ولقيادة شعب الله إلى كمال الحقيقة والمحبّة (أنظر البابا يوحنّا بولس الثاني: أعطيكم رعاة، ١٩).

مضمون الرسالة المسيحيّة التي هي مشاركة في كهنوت المسيح المثلّث الأبعاد، هي:

أ. **رسالة نبويّة** تعلن للناس إنجيل الخلاص: أرسلني لأبشّر المساكين، وأحرّر المستعبدين، وأعطي رؤية جديدة (لو ٤/٤٨). **فإنجيل المسيح يعزّي ويغني** بالقيم الانسانيّة والروحيّة والخلقيّة؛ **ويحرّر** المأسورين المستعبدين للناس أو لنزواتهم الشخصيّة ومصالحهم الصغيرة أو لإيديولوجيّات وأحكام مسبقة؛ وينير عيون العقل والضمير والقلب في ضوء الحقيقة المطلقة عن الله والانسان والتاريخ.

ب. **رسالة تقديسيّة** تمنح الغفران للتائبين، منسحقي القلوب (لو ٤/١٨)، بفضل ذبيحة الفداء التي قبلها الربّ يسوع بموته على الصليب، ونعمة قيامته التي تقدّس النفوس بهبة الروح القدس، الحياة الإلهيّة فينا.

ج. **رسالة ملوكيّة** تجعل الزمن مقبولاً لدى الربّ (لو ٤/٤٩)، هو زمن العدالة التي تسود على الظلم، وزمن انتصار المحبّة على البغض، والسلام على النزاع، والحريّة على العبوديّة، والحقيقة على الكذب.

■ ثانيًا، البطريركيّة المارونيّة ولبنان

الكلّ يتطلّع إلى البطريركيّة المارونيّة، إلى بكركي، للخروج من الأزمة السياسيّة في لبنان: ينتظرون كلمتها، يسألون رأيها يقفون عند رغبتها. لماذا؟

يعلّمنا التاريخ الحديث والقديم أنّ البطريركيّة كانت على مدى الأجيال مرجعيّة وطنيّة في لبنان، ملتقى القادة السياسيّين، حيث كانوا يلتئمون

ويحسمون شؤونهم الوطنيّة. نخصّص لهذا الموضوع القسم الثاني من التنشئة المسيحيّة في زمن العنصرة المعروف بزمن الكنيسة ورسالتها. نبدأ اليوم مع الحقبة الأولى الممتدّة ما بين سنة ٦٨٦ و٩٧٠(*).

١. الجذور

عُرف الشعب المارونيّ **"بالأمّة المارونيّة"** في رسائل البابوات والكرسيّ الرسوليّ الرومانيّ وملوك فرنسا لويس التاسع ولويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر. تكوّنت هذه "الأمّة" من عناصر أساسيّة هي: جماعة أشخاص موارنة تنظّموا في جبل لبنان بقيادة بطاركتهم، بدءًا من البطريرك الأوّل القدّيس يوحنّا مارون؛ حافظوا على تراثهم الأنطاكيّ العريق ولغتهم السريانيّة الأصليّة؛ عاشوا ضمن حكم ذاتيّ وسط أنظمة تيوقراطيّة للبيزنطيّين والعرب؛ حافظوا على إيمانهم وحرّيتهم؛ استمرّوا على هذه البُنية فيما أصبحت الجماعة المارونيّة كنيسة بطريركيّة.

كان البطريرك المارونيّ **محور الأمّة المارونيّة وحامي وحدتها**، وكان الرئيس الوحيد للشعب والمسؤول السياسيّ والدينيّ على السواء، متعاونًا **كنسيًّا** مع الأساقفة كنوّاب وممثّلين له، **ومدنيًّا** مع المقدّمين كذراعه الزمنيّة. فكان المجتمع المارونيّ، المؤلّف من الاكليروس والمقدّمين والملاّكين النبلاء وعامّة الشعب، يعيش نظامًا طبقيًّا، اجتماعيًّا، عسكريًّا ودفاعيًّا، فيه ترتبط الحياة الدينيّة بالحياة المدنيّة ارتباطًا وثيقًا.

نشأت الأمّة المارونيّة، السياسيّة والدينيّة، في إطار مجتمع مشرقيّ

(*) الأب فرنسوا عقل: أضواء على العلاقات السياسيّة والقانونيّة بين البطريركيّة المارونيّة والدولة اللبنانيّة - منشورات جامعة سيّدة اللويزه (٢٠٠٧)، ص ١٧-٣٢.

تيوقراطيّ، لا يفصل بين مفهومي الدين والدنيا. فكان الحكم التيوقراطيّ السائد في المنطقة مزدوجًا: بيزنطيًّا روميًّا، وإسلاميًّا عربيًّا.

٢. البطريرك الأوّل القدّيس يوحنّا مارون والدولتان البيزنطيّة والأمويّة

انتخب رهبان دير مار مارون على العاصي **البطريرك يوحنّا مارون** على كرسيّ إنطاكية، عندما كان خاليًا من بطريرك كاثوليكيّ مقيم في كرسيّ بطرس الأوّل قبل إنشاء كرسيّ روما. كان انتخابه، حسب البطريرك الدويهي، سنة ٦٨٦. وقد كتب التّلمحري، بطريرك اليعاقبة، سنة ٧٤٦: "لا يزال الموارنة، كما هم اليوم، يرسمون بطريركًا وأساقفة من ديرهم". وذلك في بدايات العهد الأمويّ (٦٦٠-٧٥٠).

كان يوحنّا مارون قبل انتخابه أسقفًا على البترون. وبسبب اشتداد المضايقات من الملك البيزنطيّ يوستنيانوس الثاني، غادر أنطاكية إلى جبل لبنان واستوطن ديره في كفرحي، وقاد الأمّة المارونيّة محافظًا على عقيدتها الكاثوليكيّة وفقًا لمجمعَي أفسس المنعقد سنة ٤٣١ عن أمومة السيّدة العذراء لابن الله المتجسّد، وخلقيدونية سنة ٤٥١ عن طبيعتَي السيّد المسيح الإلهيّة والانسانيّة؛ وحفظ استقلاليّتها بحكم ذاتيّ في جبل لبنان، فكانت جماعة متماسكة عقائديًّا وعسكريًّا، ما ضمن لها نموّها. استطاع الموارنة، بقيادة البطريرك يوحنّا مارون وبفضل تماسكهم، من العيش بتفاهم وانسجام مع الدولة الأمويّة التي كانت تهاب وحدتهم وقدرتهم الدفاعيّة في القتال. البطريرك اسطفانوس الدويهي يعطي الشواهد التاريخيّة ويصف خوض المعارك بوجه الغارات البيزنطيّة التي كانت تُشنّ عليهم في منطقتي الكورة والبترون (الشرح المختصر في أصل الموارنة وثباتهم في الأمانة وصيانتهم من كلّ بدعة وكهانة الذي نشره الأباتي بطرس فهد سنة ١٩٧٤، صفحة ١١٧-١١٨).

لقد جاهد البطريرك يوحنّا مارون جهادًا كبيرًا ومستمرًّا في تنظيم الكنيسة المارونيّة بحفظ عقيدتها وسط الاضطهادات، وحسن سيرها الكنسيّ والليتورجيّ والقانونيّ، ورسم أساقفة وكهنة في جبل لبنان، ثمّ رقد بالربّ في أوائل سنة ٧٠٧ ودفن بكثير من المهابة في الدير الحامل اسمه في كفرحي (الشرح المختصر المجلّد الأوّل صفحة ١٢٣-١٢٧).

٣. البطاركة الأوّلون والدولة العبّاسيّة (٧٥٠-٩٧٠)

تعاقب على كرسيّ أنطاكية، بعد البطريرك يوحنّا مارون، عدد من البطاركة نجدهم في سلسلة البطاركة التي وضعها البطريرك الدويهي (الخماسيّة المارونيّة للأب يواكيم مبارك، الجزء الأوّل، المجلّد الأوّل، صفحة ١٨-٢٠)، في العهد العباسيّ الذي كان شديد الوطأة على المسيحيّين في العراق والشام، وبخاصّة في عهد المتوكّل الذي أمر بهدم الكنائس التي شُيّدت بعد الإسلام. أمّا الموارنة في جبل لبنان، فحافظوا على استقلاليّتهم النوعيّة، كي لا يصبحوا ذميّين مثل سواهم من المسيحيّين واليهود المعروفين "بأهل الكتاب". وارتضوا أحيانًا دفع الجزية أو ضريبة الرأس لقاء استقلاليّتهم والمحافظة على كيانهم وإيمانهم الكاثوليكيّ المختلف عن إيمان الجماعات المقيمة في الجوار.

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

نبدأ بعرض النصّ المجمعيّ التاسع: "**العلمانيّون**"، وفقًا لخطّة الخمس سنوات التي رسمتها الأمانة العامّة.

يتبع النصّ المنهجيّة المجمعيّة المثلّثة وهي: أوّلاً، لمحة تاريخيّة عن دور العلمانيّين في حياة الكنيسة المارونيّة؛ ثانيًا، المبادئ الكنسيّة وواقع حال

حياة العلمانيّين في الزمن الحاضر؛ ثالثًا، التطلّعات المستقبليّة من أجل حياة ورسالة أفضل.

١. في المقدّمة، **يظهر الأساس الذي يُبنى عليه دور المؤمنين العلمانيّين** في حياة الكنيسة ورسالتها، وهو مزدوج: **الدعوة** إلى القداسة بلا عيب في المحبّة بموجب اختيار إلهيّ قبل إنشاء العالم (أنظر أفسس١/٤)، **والرسالة** الرامية إلى بنيان ملكوت الله في العالم، وتجسيد محبّة المسيح في الحياة الشخصيّة والمجتمع وسائر الشؤون الزمنيّة، والسعي الذاتيّ إلى تحقيق "ملء قامة المسيح" (الفقرة ١).

٢. في تاريخ الكنيسة المارونيّة، عُرف الموارنة العلمانيّون بلفظة "العَوامّ" من السريانيّة "عامو" أي الشعب، وكان لهم حضور في حياة الكنيسة ورسالتها، بما فيه المشاركة في المجامع الكنسيّة، ورأي في اختيار خوري الضيعة ومطران الأبرشيّة، وفي انتخاب البطريرك (الفقرة ٣).

كان العوامّ في أساس تكوين الكنيسة المارونيّة، ومن بينهم رجال ونساء عديدون اختاروا أن يعيشوا حياة شبيهة بالقدّيس مارون، فكانت جماعة "بيت مارون" التي أصبحت كنيسة منظّمة يرئسها البطريرك. كانوا يجتمعون صباحًا ومساءً في الكنائس للصلاة وقراءة الانجيل والكتب المقدّسة وسيَر القدّيسين والاشتراك في الذبيحة الإلهيّة (الفقرة ٤).

٣. **مع المَجمع اللبنانيّ** (١٧٣٦)، توطّد موقع العلمانيّين ودورهم على مستوى العلاقة بالاكليروس. ثمّ نما هذا الموقع وهذا الدور بعد تكاثر الإرساليّات الغربيّة، وانتشار المؤسّسات التربويّة والجماعات الرهبانيّة، وقيام المدارس في الأديار والرعايا، حتّى يومنا هذا.

في هذه الحقبة التاريخيّة ظهر **عاملان مهمّان:** الأوّل، انتشار أخويّات

النساء والرجال في الرعايا، ومنظّمات العمل الرسوليّ؛ الثاني، بداية الهجرة المارونيّة في أعقاب أحداث ١٨٦٠، والتزام الموارنة المنتشرين بالممارسة الدينيّة وبناء الكنائس وإنشاء الرعايا في بلدان الانتشار.

وتفاعل دور العلمانيّين **في التربية** من خلال العمل في المدارس والجامعات؛ وفي الخدمة الاجتماعيّة من خلال المستوصفات والمستشفيات والجمعيّات؛ **وفي الحياة الراعويّة** من خلال الأخويّات والمنظّمات الرسوليّة ولجان إدارة الأوقاف والجوقات والمجالس الرعويّة وسائر اللجان (الفقرات ٥-٧).

***

صلاة

أيّها الربّ يسوع، لقد مسحتنا بمسحتك، مسحة الروح القدس، وأشركتنا في رسالتك النبويّة والتقديسيّة والملوكيّة، لنقبل سرّ الكلمة والنعمة والمحبّة، وننقلها بشهادة حياتنا. لقد صالحتنا مع الآب السماويّ، وجعلتنا سفراء المصالحة، لنعمل في سبيلها في عالمنا الممزّق بالخلافات والنزاعات والأحقاد. بارك كنيستنا وأطلقها داعية سلام وتفاهم، فإنّ شعبنا يتطلّع إليها، كما اعتاد على مدى الأجيال. شدّد عزيمتها ورسّخها على صخرة الرجاء، أنت وحدك رجاؤنا. انتزع منها الخوف والتردّد، وضع فيها شجاعة الايمان والمحبّة.

ساعد المؤمنين العلمانيّين على وعي دورهم في الكنيسة ورسالتهم في المجتمع، لكي يتواصل بناء ملكوتك، ملكوت المحبّة والقداسة، الحقيقة والحريّة، العدالة والسلام. لك المجد والشكر والتسبيح أيّها الآب والابن والروح القدس، الآن وإلى الأبد، آمين.

الأحد العاشر من زمن العنصرة

عمل الروح القدس ومواهبه

من رسالة القدّيس بولس الرسول: ١ كورنتس ١٢/١-١١

يا إخوَتِي، أَمَّا في شَأْنِ الـمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّة، أَيُّهَا الإِخْوَة، فلا أُريدُ أَنْ تَكُونُوا جَاهِلِين. تَعْلَمُونَ أَنَّكُم، عِنْدَمَا كُنْتُم وَثَنِيِّين، كُنْتُم تَنْقَادُونَ مُنجَرِفِينَ إِلى الأَوْثَانِ البُكْم. لِذلِكَ أُعْلِنُ لَكُم أَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ يَنْطِقُ بِرُوحِ الله، ويُمكِنُهُ أَنْ يَقُول: «يَسُوعُ مَحْرُوم!»؛ ولا أَحَدَ يَقْدِرُ أَنْ يَقُول: «يَسُوعُ رَبّ!» إِلاَّ بِالرُّوحِ القُدُس. إِنَّ الـمَوَاهِبَ الرُّوحِيَّةَ عَلى أَنْوَاع، لـكِنَّ الرُّوحَ وَاحِد؛ والـخِدَمَ عَلى أَنْوَاع، لـكِنَّ الرَّبَّ وَاحِد؛ والأَعْمَالَ القَدِيرَةَ عَلى أَنْوَاع، لـكِنَّ اللهَ وَاحِد، وهوَ يَعْمَلُ في الـجَمِيعِ كُلَّ شَيء. وكُلُّ وَاحِدٍ يُعْطَى مَوْهِبَةً يَتَجَلَّى الرُّوحُ فيهَا مِنْ أَجْلِ الـخَيْرِ العَامّ. فوَاحِدٌ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلامَ الـحِكْمَة، وآخَرُ كَلامَ الـمَعْرِفَة، وَفْقًا لِلرُّوحِ عَيْنِهِ؛ وآخَرُ الإِيْمَانَ في الرُّوحِ عَيْنِهِ؛ وآخَرُ مَوَاهِبَ الشِّفَاءِ في الرُّوحِ الوَاحِد؛ وآخَرُ الأَعْمَالَ القَدِيرَة، وآخَرُ النُّبُوءَة، وآخَرُ تَمْييزَ الأَرْوَاح، وآخَرُ أَنْوَاعَ الأَلْسُن، وآخَرُ تَرْجَمَةَ الأَلْسُن. كُلُّ هذَا يَعْمَلُهُ الرُّوحُ الوَاحِدُ عَيْنُهُ، مُوَزِّعًا لِكُلِّ وَاحِدٍ مَوَاهِبَهُ كَمَا يَشَاء.

***

كورنتس مدينة يونانيّة مزدهرة وذات مرفأين، أحدهما على بحر إيجيه

أو الأرخبيل، والآخر على بحر الأدراياتي. سكّانها مختلطون من جميع الأجناس والأديان والثقافات، ومعروفة بالانحرافات الخلقيّة، حتّى أصبحت مثلاً للذمّ بالقول: "سار سيرة أهل كورنتس". شعبها وثنيّ يؤدّي العبادة الكبرى لإلهة الجمال أفروديت، وهي عشتروت عند الفينيقيّين، وقد خُصَّت بهيكل لمزاولة البغاء. عاش فيها بولس الرسول حوالى سنتين، وأنشأ جماعة مسيحيّة، أصبحت نشيطة وكثيرة التقوى. إنّما كانت لا تزال عرضة لأخطار الفساد المتفشّي، والخلافات الداخليّة، وإغراءات الحكمة الفلسفيّة الوثنيّة.

كتب إليهم بولس رسالته الأولى من أفسس في ربيع سنة ٥٦، كما يظهر من كلامه عن فصح المسيح والدعوة إلى المشاركة فيه بتجديد السيرة (١ كور ٥/٧-٨). يحدّثهم اليوم عن فعل **الروح القدس في المسيحيّ، وعن مواهبه** التي يوزّعها على المؤمنين **من أجل بنيان الجماعة المسيحيّة المتنوّعة في الوحدة.**

في المقابل إنجيل هذا الأحد يحدّثنا عن الأرواح الشرّيرة التي تُفسد الانسان وتهدّم حياة الجماعة. لكنّ المسيح المنتصر على الشيطان والخطيئة والموت يحرّر الانسان من مسّ الأرواح.

■ أوّلاً، شرح نصّ الرسالة وربطها بتعليم الانجيل

١. المواهب متعدّدة والروح واحد (١ كور ١٢/٤)

ذكّر بولس الرسول مسيحيّي كورنتس أنّهم كانوا وثنيّين، منقادين للأصنام وللأرواح الشرّيرة المفسدة، لكنّهم أصبحوا مؤمنين بالمسيح الربّ بفضل هبة الروح القدس الذي جدّدهم، ليعيشوا على هدي مواهبه.

هذا التذكير هو لنا نحن أيضًا، ولاسيّما لأولئك الذين من بيننا استغنوا عن الله في حياتهم اليوميّة وخياراتهم وقراراتهم، وابتعدوا عن الممارسة الدينيّة في يوم الربّ، الذي هو الأحد والعيد، وأصبحوا منقادين لروح الشرّ.

مواهب الروح القدس الواحد متنوّعة: **بعضها للمعرفة والعلم،** "فيُعطى واحد كلام الحكمة، وآخر كلام المعرفة، وآخر الألسنة، وآخر اللغات"؛ **وبعضها للخدمة،** "فيُعطى واحد موهبة الإيمان للتعليم، وواحد مواهب الشفاء"؛ **وبعضها للقوّة في الخيار والثبات:** "فيُعطى واحد القوّة، وآخر النبوءة، وآخر تمييز الأرواح" (١ كور ١٢/٤-١٠).

إنّ الروح الواحد الغنيّ بالمواهب يوزّعها على كلّ أحد كما يشاء من أجل وحدة الجماعة في تنوّعها، ومن أجل وحدة الكنيسة التي تظهر مثل عروس مزيّنة لعريسها (رؤيا ٢١/٢).

إنّها مواهب للمعرفة، تنير العقل وتفتحه على أنوار الحكمة الإلهيّة، وهي له بمثابة النور للأعين. وهي **مواهب من أجل الخدمة،** فالمواهب لا تُعطى فقط من أجل الذات، بل أيضًا من أجل الآخرين لخدمتهم في ما هم بحاجة إليه. فالانسان كائن لغيره، ويحمل بُعدين متلازمين البُعد الشخصيّ الرامي إلى أنسنته، والبُعد الاجتماعيّ الذي يقتضي منه الخدمة للآخرين وللمجتمع. وهي **مواهب لحسن القرار والخيار،** تساعد الحريّة في خياراتها الفضلى.

إنّنا بحاجة إلى الروح الإلهيّ وإلى مواهبه في حياة كلّ يوم. من أجل التماسها نصلّي في المزمور ١٤٣:

"يا ربّ، لا تحجب وجهك عنّي، لئلاّ أكون كالهابطين في الحفرة.

إنّي توكّلت عليك. عرّفني الطريق الذي أسلكه، فإنّي إليك رفعت نفسي.

علّمني أن أعمل ما يرضيك، لأنّك أنت إلهي.
ليهدني روحك الصالح في أرض سويّة" (مز ١٤٣/٧-١٠).

٢. الأرواح الشرّيرة تُفسد وتقسّم

يُتلى في هذا الأحد إنجيل القدّيس متّى (١٢/٢٢-٣٢)، الذي يُظهر عمل الشيطان والأرواح الشرّيرة في الانسان. إذا سكنته **أعمته** عن الحقيقة **وأخرسته** عن قول الحقّ، مثل ذاك المسكون الأعمى والأخرس الذي شفاه يسوع. فقال الفرّيسيّون، رافضو حقيقة المسيح وعمله الخلاصيّ: "إنّ هذا لا يطرد الشياطين إلاّ بأركون الشياطين"، فيما المؤمنون به عرفوا بالمقابل "أنّه ابن داود"، المسيح الآتي إلى العالم (متّى ١٢/٢٢-٢٤).

أمّا يسوع فأجاب الفرّيسيّين والمشكّكين بسلطانه الإلهيّ "أنّه بروح الله يطرد الشياطين، ما يعني أنّ ملكوت الله قد اقترب منكم" (متّى ١٢/٢٨). هذا الكلام يدلّ على أنّ يسوع هو "عمّانوئيل" أي "الله معنا". فملكوت الله تعبير يعني أنّ الله دخل في تاريخ البشر بشخص الإله المتجسّد يسوع المسيح، ليحرّرهم بسلطانه المطلق من عبوديّة الشيطان ومسّ الأرواح.

علّمنا الربّ أن نصلّي في الأبانا: "لا تدخلنا في التجارب، بل نجّنا من الشرّير"، وبذلك نلتمس موهبة التمييز والقوّة، التي يتكلّم عنها بولس الرسول في رسالته اليوم، لكي لا ننزلق في تجربة تقودنا إلى الطريق المؤدّي إلى الخطيئة. **بموهبة التمييز** ندرك أنّنا أمام تجربة شيطانيّة كلّ مرّة تحرّكنا شهوة العين أو شهوة الجسد أو كبرياء الحياة (١ يوحنّا ٢/١٦). **وبموهبة القوّة** ننتصر على التجربة-الشهوة بفضل كلام الله ونعمة صليب المسيح.

فعل الشيطان والأرواح الشرّيرة نوعان: فعل عاديّ بواسطة التجربة من

باب الشهوة المثلّثة الكامنة في الانسان، كما وصفها يوحنّا الرسول، وفعل خارق العادة بالمسّ الشيطانيّ الذي يحصل إمّا بواسطة اضطرابات حسيّة في جسد الانسان الممسوس، أو بواسطة أفكار استحواذيّة ودوافع داخليّة ترمي إلى الاستسلام وتجربة الانتحار، أو بواسطة توتّرات عصبيّة تقود الممسوس إلى فقدان الوعي الذاتيّ، والقيام بأفعال أو التلفّظ بكلمات ضدّ الله والمسيح والعذراء والقدّيسين، أو أيضًا بواسطة تأثيرات على البيوت والأشياء والحيوانات.

ولكن يجب التمييز بين المسّ الشيطانيّ والأمراض النفسيّة والعصبيّة. فلا بدّ من استشارة الأخصّائيين النفسانيّين.

إنّ المسّ الشيطانيّ يقتضي "صلاة التعزيم لطرد الأرواح الشرّيرة" التي قال عنها يسوع في إنجيل اليوم: "أنا بروح الله أخرج الشياطين". صلاة التعزيم (exorcisme) هي التي تلتمس بها الكنيسة علنًا وبقوّة سلطانها، باسم يسوع المسيح، حماية الأشخاص أو الأشياء من قبضة الشيطان والأرواح الشرّيرة ونفوذهم؛ وتلتمس طردهم وإعتاق النفس من استحواذهم. إنّ الربّ يسوع مارس صلاة التعزيم والتحرير من المسّ الشيطانيّ، كما روى مرقس الانجيليّ (مر ١/٢٣-٢٧)، ومارسها بولس الرسول (أعمال ١٦/١٦-١٨).

ويدعو الربّ يسوع في إنجيل اليوم إلى الايمان بقوّة روحه القدّوس على تحرير الأنفس من تجارب الأرواح الشرّيرة ومسّهم، لأنّهم بهذا الايمان يلجأون إلى التماس قوّة الروح ليتحرّروا ويخلّصوا، وإلاّ ماتوا في حالة بؤسهم: "لهذا أقول لكم: يُغفر للناس كلّ خطيئة وتجديف، أمّا التجديف

على الروح القدس، فلا يُغفر للناس" (متّى ١٢/٣١). لا لأنّ الله لا يغفر، بل لأنّ المجدّف يرفض قدرة روح الله، فلا يلتمسها.

■ ثانيًا، البطريركيّة المارونيّة ولبنان

نستعرض مسيرة البطريركيّة المارونيّة في لبنان ودورها الوطنيّ المتواصل جيلاً بعد جيل بثوابته الواضحة التي تدور حول اثنتين وحدة الايمان الكاثوليكيّ عند الموارنة، واستقلاليّتهم النوعيّة سياسيًّا. وبهذا نبيّن مرجعيّتها التاريخيّة.

في عهد الفرنج (١٠٨٩-١٢٩١)(*)

هو عهد الصليبيّين المعروفين عربيًّا بالفرنج. بدأ مع سقوط أنطاكية سنة ١٠٩٨ في يدهم. بعدها احتلّوا طرابلس سنة ١١٠٢ بمؤازرة المقاتلين الموارنة، ثمّ البترون وجبيل. عاونهم الموارنة لأنّهم إخوة لهم في الايمان. وساعدوهم عسكريًّا في الاستيلاء على الأراضي المقدّسة في أورشليم وسائر فلسطين وسواها من المدن الساحليّة.

رسّخ الموارنة في هذا العهد عقيدتهم الكاثوليكيّة ووحدتهم مع رومية، وامتلكوا أراضي، وتمتّعوا بامتيازات وحافظوا على دورهم السياسيّ والعسكريّ بقيادة بطريركهم المقدّمين.

في عهد الفرنج توطّدت العلاقة مع رومية على يد **البطريرك إرميا العمشيتيّ** (١١٩٩-١٢٣٠) الذي شارك في أعمال المجمع اللاترانيّ الرابع (سنة ١٢١٣)، حيث جرت في قداسه بحضور آباء المجمع معجزة

(*) الأب فرنسوا عقل: أضواء على العلاقات السياسيّة والقانونيّة بين البطريركيّة المارونيّة والدولة اللبنانيّة، ص ٣٥-٣٧.

القربان: فعندما رفع القربان هاتفًا: "الأقداس للقدّيسين" توقّفت القربانة فوق رأسه. وكان هذا البطريرك معروفًا بالقدّيس.

ثمّ دبّ خلاف مع الفرنج في طرابلس بسبب بعض التدابير الإداريّة التي حاول حكّام المدينة فرضها عن طريق التنظيم الإقطاعيّ، وبسبب الأخطاء التي ارتكبوها في حقّ المسيحيّين الشرقيّين عمومًا.

انتشر الموارنة[1]، بعد جبل لبنان، **في جزيرة قبرس**، وأنشأوا فيها دير مار يوحنّا كوزبند. وكان البطاركة يولون الجالية المارونيّة هناك اهتمامًا خاصًّا ويرسلون رؤساء لدير مار يوحنّا. هكذا فعل سنة ١١٢٠ و١١٢١ البطريرك بطرس الأوّل (١١٢٠-١١٣٠)، القاطن في دير سيّدة إيليج ميفوق[2]. وفي سنة ١١٤١ البطريرك يعقوب الراماتي (١١٤٠-١١٥١)، وقد توسّطهما البطريرك غريغوريوس من حالات (١١٣٠-١١٣٩).

وكذلك فعل بطاركة آخرون في القرن اللاحق وبتواصل: البطريرك يوحنّا الجاجي (١٢٣٩-١٢٤٥) سنة ١٢٣٩والبطريرك يوحنّا العاقوريّ سنة ١٢٥٤، كما نجد في المخطوطات المارونيّة.

وسيتزايد عدد الموارنة في قبرس بعد انكسار الفرنج، وبداعي الظلم والاضطهاد في عهد المماليك، حتّى أنّهم بنوا في جبالها ٧٢ قرية. فلم

---

(١) الأباتي بطرس فهد: بطاركة الموارنة وأساقفتهم من القرن ١٣ إلى ١٥ (دار لحد خاطر ١٩٨٥)، ص ٢٥-٣١.

(٢) بطرس الأوّل هو البطريرك الأوّل الذي سكن في دير سيّدة إيليج وتبعه ١٧ بطريركيًّا آخرين حتّى البطريرك يوحنّا الجاجيّ (١٤٠٤-١٤٤٥). فيكون كرسيّ إيليج قد امتدّ من سنة ١١٢٠ إلى ١٤٤٥، واحتضن ١٨ بطريركيًّا. ثمّ انتقل إلى دير قنّوبين في الوادي المقدّس حيث مكث حتّى سنة ١٨٥٤، وأقام فيه أيضًا ١٨ بطريركيًّا.

يختلطوا بسكّان الجزيرة، إذ كانوا يخشون حياة المدن التي لم يألفوها من قبل. انصرفوا إلى الزراعة وحافظوا على تقاليدهم العائليّة والكنسيّة.

وبسبب إخلاصهم للفرنج ومساعدتهم عسكريًّا في حملاتهم. أرسل إليهم ملك فرنسا لويس التاسع، الذي أعلن قدّيسًا سنة ١٢٩٨، رسالة بتاريخ ٢١ أيّار ١٢٥٠، يضع فيها الموارنة تحت حماية فرنسا، معتبرًا الأمّة المارونيّة جزءًا من الأمّة الفرنسيّة. وأعطى سببين لهذه الحماية: الأوّل، مساعدته بإرسال ٢٥ ألفًا من الجنود تحت أمرة سمعان ابن أمير الجبل لملاقاته عندما كان في قبرس، تعبيرًا عن محبّة الموارنة للفرنسيّين؛ الثاني، تعلّق السيّد البطريرك والمطارنة والاكليروس والشعب والأمير تعلّقًا ثابتًا بالدين الكاثوليكيّ.[٣]

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تعرض الخطّة الراعويّة من النصّ المجمعيّ التاسع: **"العلمانيّون"** مضمون الفصل الثاني حول المبادئ الكنسيّة بشأن العلمانيّين ورسالتهم من المجمع الفاتيكانيّ الثاني حتّى اليوم (الفقرات ٨-١٤).

١. من هم العلمانيّون

هم المسيحيّون، غير الاكليروس، الذين بالمعموديّة والميرون والقربان، أصبحوا جسدًا روحيًّا واحدًا، هو الكنيسة، رأسه المسيح، ورباطه الروح القدس، روح المحبّة. إنّهم بهذه الصفة ينتمون إلى شعب الله الذي كرامته الحريّة الروحيّة، وغايته بناء ملكوت الله على الأرض، أي الاتحاد بالله ووحدة الجنس البشريّ. وبالتالي يشاركون في وظائف المسيح النبويّة

(٣) أنظر نصّ الرسالة الكامل في المرجع المذكور.

والكهنوتيّة والملوكيّة. إنّهم يستنيرون بحقيقة الانجيل، ويتقدّسون بنعمة الأسرار، ويتعاونون بالمحبّة، ويصبحون رسلاً وشهودًا لهذه الثلاث: الحقيقة والنعمة والمحبّة، في العائلة والمجتمع وفي سائر أعمالهم ونشاطاتهم وحالاتهم (فقرة ٨).

لكي يدرك العلمانيّون هويّتهم، ويؤدّوا رسالتهم المسيحيّة في العالم والمجتمع والعائلة، فإنّهم بحاجة إلى رباط وثيق مع حاملي رسالة الخدمة الكهنوتيّة، من أساقفة وكهنة وشمامسة، المؤتمنين بسلطان إلهيّ على الكرازة بالانجيل وتعليم حقائق الايمان، وعلى توزيع نعمة الأسرار، وعلى تنظيم الجماعة المؤمنة بسنّ قوانين غايتها خلاص النفوس، وعلى توجيه الرسالة المسيحيّة وتمييز المواهب وتنسيق الخدمات والوظائف (الفقرتان ٩ و١٠).

٢. العلمانيّون والكنيسة

ارتباط العلمانيّين بالكنيسة مشبّه بالكرمة والأغصان (يوحنّا ١٥/٥) وعضويّتهم في الكنيسة مثل ارتباط الأغصان بالشجرة بثلاثة أبعاد:

في الكنيسة–السرّ يوطدّون الاتحاد الشخصيّ بالله.

في الكنيسة–الشركة يشدّون أواصر الوحدة في ما بينهم والتضامن والتعاون.

في الكنيسة–الرسالة يتساندون في أداء الرسالة المسيحيّة بالالتزام والشموليّة (الفقرتان ١١ و١٢).

من أجل تحقيق ارتباط العلمانيّين بالكنيسة في أبعاده الثلاثة، لا بدّ من قيام مجالس راعويّة ولجان وهيئات يشاركون فيها كأعضاء، ويلتزمون بما هو منوط بها من مهمّات وخدمات، وفقًا لمواهبهم (الفقرتان ١٣-١٤).

يستقي هذا الفصل المجمعيّ مضمونه من وثائق المجمع المسكونيّ

الفاتيكانيّ الثاني، ومن الإرشادين الرسوليّين: "العلمانيّون المؤمنون بالمسيح" و"رجاء جديد للبنان".

***

صلاة

أيّها الروح القدّوس، أفض علينا مواهبك لنحسن معرفة سرّ الله والانسان، فنؤدّي خدمة العبادة والمساعدة، ونميّز ما هو الأفضل والأنفع في ما نقوم به من عمل ونشاط وفي ما نتّخذ من مواقف.

نجّنا، أيّها الربّ يسوع، من تجارب الأرواح الشرّيرة ومسّهم، وأعطنا أن نطردهم باسمك وبرسم صليبك.

أعضد، اللهمّ الآب، المؤمنين العلمانيين بمحبّتك لكي يكونوا فعلة نشيطين في الكنيسة وشهودًا للمسيح في المجتمع.

للآب والابن والروح القدس كلّ مجد وشكر وإكرام الآن وإلى الأبد، آمين.

الأحـد الحـادي عشر من زمن العنصرة

الخلاص بالمسيح رسالة الكنيسة لكلّ الشعوب

من رسالة القدّيس بولس الرسول: أفسس ٢/١٧-٢٢

يا إخوَتِي، لَمَّا جَاءَ ربُّنا يسوعُ المسيح بَشَّرَكُم بِالسَّلامِ أَنْتُمُ البَعِيدِين، وبَشَّرَ بالسَّلامِ القَرِيبين، لأَنَّنَا بِهِ نِلْنَا نَحْنُ الاثْنَينِ في رُوحٍ وَاحِدٍ الوُصُولَ إلى الآب. إِذًا لَسْتُم بَعْدُ غُرَبَاءَ ولا نُزَلاء، بَلْ أَنْتُم أَهْلُ مَدِينَةِ القِدِّيسِينَ وأَهْلُ بَيْتِ الله، بُنِيتُمْ على أَسَاسِ الرُّسُلِ والأَنْبِيَاء، والمَسِيحُ يَسُوعُ نَفْسُهُ هُوَ حَجَرُ الزَّاوِيَة. فيهِ يَتَمَاسَكُ البِنَاءُ كُلُّه، فَيَرْتَفِعُ هَيْكَلاً مُقَدَّسًا في الرَّبّ، وفيهِ أَنْتُم أَيْضًا تُبْنَونَ معًا مَسْكِنًا للهِ في الرُّوح.

***

وجّه بولس الرسول رسالته إلى أهل أفسس من السجن بعبارة: "أنا بولس، أسير يسوع المسيح لأجلكم أيّها الأمم" (١/٣). لكنّ السجن قوّاه في الايمان بتدبير الله الخلاصيّ الذي كُشف له سرّه، ووُهبت له نعمته (٣/٢-٣). وبفضل هذا السجن وآلامه طالب المؤمنين الالتزام بالخلقيّة المسيحيّة: "أطلب منكم الآن، أنا الأسير بربّنا، أن تسيروا كما يليق بالدعوة التي دُعيتم إليها" (١/٤). ويفصّل مضامين هذه السيرة (٤/٢-٧). وقد اكسبه السجن مزيدًا من الشجاعة على إعلان سرّ المسيح: "أفتح فمي وأعطى الكلمة

لأنادي بسرّ البشارة جهارًا، ذاك السّر الذي صرت له بالسلاسل رسولاً، لأنطق بشجاعة جهارًا، كما يجب عليَّ أن أنطق" (أفسس ٦/١٩-٢٠).

■ أوّلاً، شرح نصّ الرسالة وربطها بإنجيل اليوم

١. الخلاص الشامل وتوحيد الشعوب

يصف بولس الرسول التحوّل العظيم الذي تمَّ على يد المسيح في العالم: "**فهو الأمان**" (أفسس ٢/١٤)، الذي جعل من الاثنين واحدًا، وهدم جدار الانقسام، وجدّد الانسان ومحا عتيقه، وصالح المتخاصمين بموته وقتل العداوة بصليبه، وحمل بشرى إنجيل السلام للقريب وللبعيد، وقرّب جميع الناس من أبيه بروحه القدّوس الواحد (أفسس ٢/١٤-١٨).

يؤكّد بولس الرسول في كلّ ذلك أنّ **نعمة الخلاص تدرك كلّ إنسان**، من أيّ لون أو عرق أو ثقافة، وأيًّا كانت حالته أو جنسه. فالخلاص يجمع في المسيح جميع البشر، ولا من حاجز بين الكنيسة والأديان والأمم الوثنيّة. إنّها تبشّر الجميع بالمصالحة مع الله بالمسيح.

إليهم جميعًا تتوجّه "**الكنيسة الجامعة الواحدة الرسوليّة**" بكلمة بولس الرسول: "لستم الآن بعد غرباء ولا دخلاء، بل أنتم بنو مدينة القدّيسين، وبنو بيت الله". هذا هو الروح الذي يروحن رسالة الكنيسة في الداخل وفي الخارج: في الرعيّة والأبرشيّة، في الوطن وفي المجتمعات المختلفة عن ثقافتنا وديننا. وكم من المسيحيّين في لبنان وسواهم بحاجة إلى هذا الروح الرسوليّ، وإلى الالتزام ببناء الوحدة، وهدم الجسور، وحلّ الخلافات، ورأب الانقسامات؟

ويضيف بولس الرسول أنّ **الحياة المسيحيّة ورسالتها هي إكمال**

البناء الروحيّ والاجتماعيّ والكنسيّ على الأساس إيّاه الذي وضعه الأنبياء والرسل، ورأس الزاوية الحامية والضامنة للبنيان يسوع المسيح (أفسس ٢٠/٢). هذا البناء ليس حجريًا، بل هو **هيكل الله القدوس**، والمؤمنون حجارته، والروح القدس ساكنه (أفسس ٢/٢١-٢٢).

تحيي الكنيسة في هذا الأحد عيدَ وجهين ملأهما روح الله وقدّستهما نعمة المسيح: القدّيس إيليّا النبيّ والقدّيس شربل.

إيليّا النبيّ سبق المسيح بثمانماية سنة، لكنّ روح الربّ ملأه، فقال عنه يشوع بن سيراخ: "وقام إيليّا كالنار، وتوقّد كلامه كالمشعل" (١/٤٨). هذا الروح جعله ذا غيرة رسوليّة على الله وحقيقة سرّه، وملأه شجاعة وقوّة فحارب الظلم بوجه الملك آحاب والملكة إيزابيل، ودافع عن المظلوم بشخص نابوت اليزراعيلي، وعمل من أجل المصالحة، "فردّ قلب الآباء إلى الأبناء، وقرّب إلى الله البعيدين، وأصلح النزاعات في بيت شعب الله" (بن سيراخ ٤٨/ ١٠).

لقد شبّه الربّ يسوع يوحنّا المعمدان بإيليّا النبيّ (مرقس ٩/ ١٣) واعتقد الناس أنّ يسوع هو إيليّا نفسه (متّى ١٦/ ١٤).

القدّيس شربل ملأته نعمة المسيح ومواهب الروح القدس، فأخلص للنعمة وسار في هدي الروح، وراح يعلو ويعلو على قمم القداسة، مسيحيًّا في بقاعكفرا، وطالب الترهّب قي دير ميفوق وتلميذ لاهوت قي دير كفيفان، وراهبًا كاهنًا في دير عنّايا، وحبيسًا في الصومعة. وهكذا "مثل الأبرار تلألأ كالشمس في ملكوت الآب" (متّى ١٣/ ٤٣)، في كنيسة الأرض وفي كنيسة السماء.

٢. توبة زكّا العشّار وتجدّده بنعمة المسيح

تتلو الكنيسة في هذا الأحد **إنجيل القدّيس لوقا** (١٩/١-١٠)، وفيه لقاء زكّا العشّار الخاطئ بالمسيح وتوبته وانقلاب سيرة حياته.

الخلاص المعلن بالمسيح بلغ زكّا العشّار والخاطئ المعروف، بفضل إيمانه بالمسيح. **كان زكّا**، المصنّف بالخاطي والمنبوذ من الجماعة المؤمنة، **يطلب في أعماق نفسه أن يرى يسوع**، وهذا **دليل محبّة الله** الساكنة قلبه، على الرّغم من خطاياه. فعندما دخل يسوع إلى بيته، تشكّك الجمع وقالوا: " في بيت رجل خاطئ دخل يقيم" (لو ١٩/٧).

لكنّ **يسوع بادله هذا الحبّ**: نظر إليه، وهو فوق الجمّيزة، ودعاه باسمه، وأسعده بأنّه سيزور بيته. فأسرع زكّا بالنزول، واستقبله مسرورًا (لو ١٩/٥-٦).

سقط الجدار الفاصل بينه وبين الله. زكّا البعيد صار قريبًا، والعتيق صار جديدًا. هذا مضمون رسالة بولس الرسول لهذا الأحد. زكّا يتغيّر ويتجدّد، لأنّ اللقاء بالمسيح، لقاء الايمان والحبّ، يصنع خليقة جديدة، على ما قال بولس: "كلّ من هو بالمسيح الآن، **هو خليقة جديدة؟ إنّ الأشياء القديمة مضت، وكلّ شيء صار جديدًا** من الله الذي صالحنا مع نفسه بالمسيح" (٢ كور ٥/١٧-١٨).

في الواقع، **زكّا يولد من جديد في حضرة المسيح**. في وهج نور شخصه وكلامه، رأى كلّ ماضيه السيّئ فتاب عنه، وصمّم أن يسير سيرة تليق بالدعوة الخلاصيّة: "يعطي الفقراء، الذين لم يكن يأبه بهم، نصف ماله، ويردّ للذين ظلمهم في حياته، وهو يجبي مال العشر للدولة، أربعة أضعاف". فأعلن يسوع خلاصه ودخوله في جماعة المؤمنين الواحدة بالروح القدس: "اليوم دخل الخلاص هذا البيت، لأنّه هو أيضًا ابن لإبراهيم" (لو ١٩/٨-٩).

لكلّ واحد منّا يقول الربّ يسوع: "إنّ ابن الانسان جاء يطلب ويحيي من كان هالكًا" (لو ١٩/١٠).

■ ثانيًا، البطريركيّة المارونيّة ولبنان

نعرض كيف أنّ البطريركيّة المارونيّة حافظت على وحدتها وصمودها رغم الاضطهاد والتنكيل **في عهد المماليك** (١٢٩١–١٥١٥)، مع ذكر مآثر البطاركة على مدى المئة سنة الأولى من حكم المماليك.

وقع لبنان وسوريا عام ١٢٩١ تحت سيطرة المماليك، وهم مسلمون من العرق التركيّ والشركسيّ. كانوا في الأساس خدّامًا لدى الأيّوبيّين في مصر، ثمّ ثاروا على أسيادهم واستولوا على السلطة. هؤلاء عادوا فاحتلّوا جميع الأراضي التي كانت تحت سلطة الفرنج.

عرف تاريخ الموارنة في عهدهم مأساتهم الكبرى. لكنّهم حافظوا على حريّتهم وأصالتهم، على المستوى الدينيّ والمدنيّ والسياسيّ. واجه على رأسهم **البطريرك لوقا البنهراني**، وهو البطريرك الثامن والثلاثون، ما مارس المماليك من ظلم بحقّهم. حتّى إنّهم أسروه واعتبروا "إمساكه فتحًا عظيمًا، أعظم من افتتاح حصن أو قلعة"، ووصفه مؤرّخ السلطان قلاوون "بطريركًا عتيًّا، قد تجبّر واستطال وتكبّر وأخاف والي طرابلس وجميع الفرنجة".

في عهد هذا البطريرك كانت **معركة الفيدار** سنة ١٢٩١، التي أسهم فيها المقدّمون الموارنة الثلاثون ومعهم ثلاثون ألف مقاتل إلى جانب الفرنج، فكسروا المسلحين. وقد وصف ابن القلاعي تفاصيل هذه المعركة الشهيرة.[١]

انكافأ الموارنة إلى الجبال، وانقطعت إمكانيّة الاتصال بالغرب، لأنّ

الشواطئ اللبنانيّة أصبحت بيد المسلمين، يرعاهم **البطريرك إرميا من دملصا** (١٢٨٢-١٢٩٧)، وخلفه **البطريرك سمعان أو شمعون** (١٢٩٧-١٣٣٩).

في أوّل سنة من عهد بطريركيّة هذا الأخير، كان هجوم على كسروان على يد سبعماية فارس من الشام بأمر السلطان برقوق، فاستنجد الكسروانيّون بمقدّمي الجرد، وهم الدروز، ففتكوا بهم. ثمّ هاجم المسلمون كسروان من جديد سنة ١٣٠٥ واحتلّوا جبالها وخرّبوا قراها وقتلوا وأسروا من فيها من الكسروانيّين والدروز وغيرهم. كان الموارنة يقطنون المنطقة الشماليّة من نهر ابراهيم حتّى جبّة بشرّي. وكان البطريرك شمعون يحضّهم على الهدوء وضبط النفس. وفي سنة ١٣١٣ أنعمت الملكة قسطنسيّة، زوجة ملك صقليّه، على الموارنة بمغارة الصليب في القدس مع أربعة مذابح في أربع كنائس. وفي عهده قام الفرنج بثلاث غارات على السواحل اللبنانيّة من دون جدوى في السنوات ١٣٠٢ و١٣٠٦ و١٣٣٣.

في عهد البطريرك يوحنّا العاقوريّ (١٣٣٩-١٣٥٧)، حدثت تعدّيات واضطرابات، واشتدّ ظلم المماليك على الموارنة بمرسوم مانع من السلطان: "فلا يُستخدمون في الدواوين السلطانيّة ولا في غيرها. ولا يحمل حكم مواريثهم قيمة في المحاكم الشرعيّة. ولا يزيد أحد منهم عمامته على عشرة أذرع. ولا يركبون الخيل والبغال بل الحمير. ويكون زنّارهم كتّانًا أزرق. ويكون أحد الخفّين أسود والآخر أبيض"، كما جاء في تاريخ الدويهي.

في عهد البطريرك جبرايل من حجولا (١٣٥٧-١٣٦٧)

(١) أنظر الأباتي بطرس فهد: بطاركة الموارنة وأساقفتهم من القرن ١٣ إلى ١٥، ص ١٥-٢٣.

اشتد اضطهاد المماليك للموارنة بسبب الغارة التي قام بها ملك قبرص الفرنسيّ بيار دي لوزينان على مدينة الإسكندريّة، وإمعانه في السلب والنهب والقتل. فردّ عليه سلطان القاهرة سنة ١٣٦٧ بحملة إلى لبنان للاقتصاص من الموارنة المتّهمين بتحالفهم مع الفرنج.

وكان القبض بواسطة جنود والي طرابلس على الأساقفة والرهبان وسجنهم، وعلى زعماء المقاطعة، مع الإنذار بإهلاكهم إذا لم يتمّ تسليم البطريرك. فسار البطريرك جبرايل إلى طرابلس مستسلمًا، وحكم عليه بالموت ظلمًا، ونفّذ فيه الحكم حرقًا بالنار في نيسان ١٣٦٧. يقول البطريرك اسطفان الدويهي إنّ قبر البطريرك جبرايل كان يهب الشفاء لكلّ من طلبه. واتّخذه المسلون مزارًا يحجّون إليه[٢]. إنّه البطريرك الثاني والأربعون في سلسلة البطاركة.

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تتناول الخطّة الراعويّة من النصّ المجمعيّ التاسع "**العلمانيّون**" الفصل الثالث: "**واقع حال العلمانيّين في الزمن الحاضر**"، من ناحيتي الالتزام الدينيّ والانخراط في الحركات والمنظّمات الرسوليّة (الفقرات ١٥-١٨).

١ . **من ناحية التزامهم الدينيّ** يتميّز واقع الحال بثلاثة:

أ. عودة متجدّدة ومتّقدة، عند بعضهم، إلى حياة الالتزام الناضج، والرغبة في التثقيف الدينيّ والتعمّق في مسائل الايمان. وفي هذا المجال، ثمّة ممارسات دينيّة وطقسيّة ذات إطار تقليديّ عاطفيّ موروث.

---

(٢) تاريخ الأزمنة، نشرة الشرتوني، صفحة ١٢٨؛ بطرس فهد، المرجع المذكور، ص ٤٦-٤٧.

ب. حصر الايمان في انتماءات طائفيّة ضيّقة، لدى البعض الآخر، وتحويله إلى إيديولوجيّة سياسيّة، بتأثير من معطيات جغرافيّة وسياسيّة معيّنة.

ج. الدمج بين الدين ورجل الدين، لدى آخرين، بحيث إذا اتّخذ رجل الدين موقفًا من إحدى القضايا الاجتماعيّة أو السياسيّة، لا يلائم أحدهم، إبتعد هذا عن الدين وقاطع الكنيسة والحياة الأسراريّة.

فلا بدّ من راعويّة تثقّف وتوجّه وتنشّط من أجل مزيد من الالتزام الدينيّ الواعي والعميق.

٢. **من ناحية الحركات والمنظّمات الرسوليّة**، نجد عددًا وفيرًا من العلمانيّين المنتمين إلى أخويّات ومنظّمات وحركات رسوليّة وجماعات صلاة. هؤلاء يمارسون واجباتهم الدينيّة، ويشكّلون خلايا حيّة وفاعلة في الرعيّة. وبعض من أعضائها يتابع دروسًا في معاهد اللاهوت والتثقيف الدينيّ من أجل مزيد من الالتزام الراعويّ والرسوليّ في الرعايا والأبرشيّة. هؤلاء يسمّيهم خادم الله البابا يوحنّا بولس الثاني "الربيع الجديد في الكنيسة".

يلفت النصّ المجمعيّ إلى تجنّب نظرتين خاطئتين:

أ. الاعتقاد بأنّ الكنيسة تلجأ إلى التعاون مع العلمانيّين بسبب تناقص عدد الكهنة.

ب. اعتبار مشاركة العلمانيّن في العمل الراعويّ تجاوزًا لصلاحيّات كاهن الرعيّة.

لا بدّ من التذكير أنّ شعب الله، أي الكنيسة، باكليروسها وعلمانييها،

مسؤولون معًا عن الرسالة المسيحيّة: الاكليروس بحكم الدرجة المقدّسة والنذور الرهبانيّة، والعلمانيّون بحكم معموديّتهم، ولكن من خلال شركة تراتبيّة منظّمة.

***

صلاة

يا ربّ، إنّنا نصلّي من أجل أن يشمل الخلاص بالمسيح جميع الناس والشعوب، فيتوحّدوا في عائلة الله الواحدة، المبنيّة على الاحترام المتبادل والتعاون والتضامن. نصلّي لكي يُلهم روحك القدّوس كلّ إنسان بعيد، كما ألهم زكّا العشّار، فيبحث عنك في أعماق قلبه، ويلتقيك على دربه، فيجد ذاته على حقيقتها ويتغيّر في النظرة والمسلك. ساعدنا لأن نصمد بوجه الظلم والتجربة، كما صمد أجدادنا في هذا الجبل اللبنانيّ. حرّك الشبيبة في رعايانا لينخرطوا في المنظّمات والحركات الرسوليّة وفي الجماعات الراعويّة لكي يشكّلوا القوّة التجدّديّة في الكنيسة والمجتمع.

للآب والابن الروح القدس كلّ تسبيح وإكرام وشكر، الآن وإلى الأبد، آمين.

الأحـد الثـانـي عشر من زمن الـعنصرة

تدبير الخلاص شامل لجميع الشعوب

من رسالة القدّيس بولس الرسول إلى أهل أفسس ٣/١-١٣

يا إخوَتِي، لِذلِكَ أَنَا بُولُس، أَسِيرَ المَسيحِ يَسُوعَ مِنْ أَجْلِكُم، أَيُّهَا الأُمَم... إِنْ كُنْتُم قَدْ سَمِعْتُم بِتَدْبِيرِ نِعْمَةِ اللهِ الَّتي وُهِبَتْ لي مِنْ أَجْلِكُم، وهوَ أَنِّي بِوَحْيٍ أُطْلِعْتُ على السِرّ، كَمَا كَتَبْتُ إِلَيكُم بإِيْجَازٍ مِنْ قَبْل، حِينَئِذٍ يُمْكِنُكُم، إِذَا قَرَأْتُمْ ذلِكَ، أَنْ تُدْرِكُوا فَهْمِي لِسِرِّ المَسِيح، هذَا السِّرُّ الَّذي لَمْ يُعْرَفْ عِنْدَ بَنِي البَشَرِ في الأَجْيَالِ الغَابِرَة، كَمَا أُعْلِنَ الآنَ بِالرُّوحِ لِرُسُلِهِ القِدِّيسِينَ والأَنْبِيَاء، وهُوَ أَنَّ الأُمَمَ هُم، في المَسِيحِ يَسُوع، شُرَكَاءُ لَنَا في المِيرَاثِ والجَسَدِ والوَعْد، بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيل، أَلَّذي صِرْتُ خَادِمًا لَهُ، بِحَسَبِ هِبَةِ نِعْمَةِ اللهِ الَّتي وُهِبَتْ لي بِفِعْلِ قُدْرَتِهِ؛ لي أَنَا، أَصْغَرِ القِدِّيسِينَ جَمِيعًا، وُهِبَتْ هذِهِ النِّعْمَة، وهِيَ أَنْ أُبَشِّرَ الأُمَمَ بِغِنَى المَسِيحِ الَّذي لا يُسْتَقْصى، وأَنْ أُوضِحَ لِلجَمِيعِ مَا هُوَ تَدْبِيرُ السِّرِّ المَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ في اللهِ الَّذي خَلَقَ كُلَّ شَيء، لِكَي تُعْرَفَ الآنَ مِن خِلالِ الكَنِيسَة، لَدَى الرِّئَاسَاتِ والسَّلاطِينِ في السَّمَاوات، حِكْمَةُ اللهِ المُتَنَوِّعَة، بِحَسَبِ قَصْدِهِ الأَزَلِيِّ الَّذي حَقَّقَهُ في المَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا، الَّذي لَنَا فيهِ، أَيْ بالإِيْمَانِ بِهِ، الوُصُولُ بِجُرْأَةٍ وثِقَةٍ إِلى الله. لِذلِكَ أَسْأَلُكُم أَنْ لا تَضْعُفَ عَزِيْمَتُكُم بِسَبَبِ الضِّيقَاتِ الَّتي أُعَانِيهَا مِنْ أَجْلِكُم: إِنَّهَا مَجْدٌ لَكُم!

***

يعلن بولس في هذه الرسالة **سرّ المسيح** أنّه **سرّ تدبير الخلاص** المكتوم منذ الدهور في الله. فانكشف في شخص المسيح، وسيعرفه الجميع من خلال الكنيسة، وقد وُضع فيها بولس خادمًا لانجيل سرّ المسيح. يوضح في رسالته هذه أنّ سرّ الله ووحي تدبيره لا يُكشف عنهما في نظريّات أو في نظام فكريّ، بل من خلال الكنيسة، السرّ والشركة والرسالة. فالكنيسة، جماعة المؤمنين التراتبيّة، تعلن الايمان، وتحتفل بسرّ الخلاص المسيحيّ، وتعيش الدعوة إلى الحياة بالمسيح، وتغتذي من معين الصلاة. هذه الأربعة تشكّل أقسام كتاب التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة.

■ أوّلاً، شرح نصّ الرسالة وربطه بتعليم الانجيل

١. بولس رسول الأمم للخلاص بالمسيح

لقد جُعل بولس "**رسول الأمم**" أي الشعوب الوثنيّة التي لم تعرف تدبير الله الخلاصيّ الذي تمّ بالمسيح. فكتب إلى المسيحيين من أهل أفسس المهتدين من الوثنيين، بشأن "**السرّ**" المعروف بتدبير الله الخلاصيّ. إنّه **دعوة الشعوب الوثنيّة كلّها إلى الخلاص**، "ليكونوا من ذوي ميراثه السماويّ، وشركاء في جسده، الذي هو الكنيسة. وليتّم له الوعد بالانجيل" (أفسس ٣/٦). كتب لهم عن هذا السّر ليكونوا هم بدورهم رسلاً للانجيل الذي أصبح "بولس خادمه بموهبة نعمة الله" (٣/٧). ليست هذه الخدمة بفضل استحقاق من أحد، بل هي فقط باختيار مجّانيّ من الله. ولذا، يقول بولس: "أُعطيت لي موهبة نعمة الله – أي **خدمة إنجيل الخلاص بالمسيح**–" وأنا أصغر القدّيسين جميعًا – أي المؤمنين– لكي أبشّر في الأمم بغنى المسيح الذي لا يُدرك غوره" (٢/٨).

إنجيل الخلاص بالمسيح دعوة إلى الايمان بالله – المحبّة، وإلى قبول المعموديّة لمغفرة الخطايا والولادة الجديدة وتغيير نمط الحياة والمسلك. هذه كانت الدعوة التي أعلنها الربّ يسوع وواصلها الرسل بعد قيامته.

جوهر رسالة بولس **إعلان سرّ المسيح** وهو "تدبير الخلاص الذي كان مكتومًا في الله منذ الدهور"، وظهر في الخلق، واكتمل في التجسد والفداء بالمسيح، ويتحقّق في المؤمنين بواسطة الروح القدس. هذه هي "حكمة الله المتميّزة الوجوه" الموكول إعلانها للعالم "على يد الكنيسة" (١٠/٣). سرّ المسيح المكتوم هو في جوهره **سرّ الله الذي هو محبّة** (١ يو ١٦،٨/٤)، وكشفه في ملء الأزمنة عندما أرسل ابنه الوحيد وروح المحبّة. فالله تبادل حبّ أزليّ: آب وابن وروح قدس، ويدعو البشريّة للمشاركة في سرّ محبّته (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٢٢١).

سرّ المسيح يصبح "**سرّ الكنيسة**" لأنّها متّحدة بالمسيح كعريس لها وهو حاضر فيها.هذا الاتّحاد والحضور يصفهما بولس "بالسرّ عظيم" (أفسس ٣٢/٥). في عمل إعلان الانجيل لجميع الشعوب الربّ يسوع يسبق المرسلين لهذا الاعلان ويرافقهم ويقودهم ويؤتي الثمار. إنّ مجريات كتاب أعمال الرسل تتواصل في كلّ مكان وزمان (مجمع عقيدة الايمان: منكّرة حول بعض وجوه التبشير بالانجيل، ١). لأبناء الكنيسة اليوم وهنا، رعاة ومؤمنين، يقول الربّ يسوع: "تقدّموا إلى العمق وألقوا الشباك للصيد" (لو ٤/٥). إنّها شباك الانجيل تُرمى وسط شعوب هذا العالم، "لصيد البشر" (لو ١٠/٥) إلى سرّ الاتّحاد بالله.

التبشير بالانجيل أو الأنجلة هو رسالة أبناء الكنيسة، ويعني إعلان الانجيل ونقله إلى الناس أجمعين، لكونه "**قوّة الله لخلاص كلّ إنسان يؤمن**

به" (روم ١/١٦). الأنجلة لا تعني فقط تعليمًا لعقيدة، بل كرازة – إعلانًا لشخص يسوع المسيح بالكلمة والأفعال، بحيث نكون نحن المسيحيين أداة حضوره وعمله في العالم (المرجع نفسه، ٢).

من حقّ كلّ إنسان أن يسمع بشارة الانجيل السارّة: فالله يعلن ذاته ويهبها بالمسيح لكلّ إنسان ليحقّق ذاته (البابا يوحنّا بولس الثاني: رسالة الفادي، ٤٦). إنّ ما تقوم به الكنيسة من عمل ونشاط، على المستوى الراعويّ والاجتماعيّ، والانمائيّ والاستشفائيّ، لا ينفصل عن إعلان الانجيل وسرّ المسيح، "وإلاّ كان عملها قليلاً" (البابا بندكتوس السادس عشر، عظة ١٠ أيلول ٢٠٠٦).

المرأة الكنعانيّة (متّى ١٥/ ٢١-٢٨)

إعلان المرأة الكنعانيّة، وهي فينيقيّة وثنيّة، عن إيمانها بالمسيح ابن داود القادر على شفاء ابنتها المريضة، وحدوث الشفاء ساعة هذا الاعلان، دليل على أنّ سرّ المسيح، وهو "سرّ تدبير الله الخلاصيّ"، يشمل كلّ الشعوب.

هذا ما أراد الربّ يسوع، كمعلّم إلهيّ له نهجه التعليميّ والتربويّ، أن يُظهره للعلن، من خلال حواره معها، وكان فيه شيء من الإساءة والاحتقار:

- عدمُ الاكتراث لها ولألمها ولطلبها: هي توسّلت إليه: "ارحمني يا سيّدي، يا ابن داود، ابنتي يعذّبها شيطان". أمّا هو فلم يجرِ جوابًا.

- تمييز عنصريّ وكأنّ للألم لونًا دينيًّا أو عرقيًّا: تلاميذه توسّلوا إليه بشأنها ليلبّي مطلبها ويصرفها فتكفّ عن الصراخ. أمّا هو فقال: "ما أرسلت إلاّ إلى الخراف التي ضلّت من بيت إسرائيل".

- احتقار وإهانة: هي سجدت له وألحّت: "يا سيّدي، ساعدني!" أمّا هو

فوجّه لها كلامًا جارحًا للغاية: "لا يحسن أن نأخذ خبز البنين، ونطرحه للكلاب".

لكنّ إيمان المرأة الصامد على صخرة الرجاء ظهر في جوابها الذي لم يكن ليتوقّعه أحد، وهو جواب أبطال الايمان والرجاء، مهما صدر عن الشخص الذي نؤمن به ونرجو رحمته التي لا تخيّب، وفي هذه الحالة هو الله.

كان يسوع ينتظر هذا الجواب الايمانيّ من المرأة، التي كان يعرف إيمانها، هو عالم الأفكار وفاحص القلوب. فبلغ إلى ما كان يريد قوله للؤمنين الفنيقيّين، في نواحي صور وصيداء، أنّه **هو المسيح الآتي لخلاص جميع الشعوب**. فامتدح إيمانها ولبّى طلبها: "عظيم إيمانك يا امرأة، ليكن لكِ ما تريدين". ومن تلك الساعة شفيت ابنتها.

٢. من أين إيمان المرأة الوثنيّة؟

السؤال الكبير المطروح: كيف آمنت المرأة الوثنيّة بالمسيح؟ من أين إيمانها؟ كيف عرفت أنّه ابن داود، وأنّه قادر على شفاء ابنتها؟

الايمان عطيّة من الله، فضيلة فائقة الطبيعة مزروعة في قلب الانسان، كلّ إنسان، على ما قال الربّ يسوع لسمعان بطرس عندما أعلن إيمانه به في قيصريّة فيليبّس: "لا لحم ولا دم أظهر لك ذلك، بل أبي الذي في السماء" (متّى ١٦/١٧). والله، بنعمته الواقية والمساعدة، يساعد الانسان لكي يعطي جواب الايمان. هذه النعمة هي عمل الروح القدس الذي يمسّ القلب ويوجّهه نحو الله، كما يفتح عيون النفس، ويعطي الجميع عذوبة قبول الحقيقة والايمان بها (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٥٣).

هذا الايمان بالله، كثير الرحمة للبشر وشافيهم من بؤسهم، معطى لجميع

الناس. وقد أعطي للمرأة الفينيقيّة الوثنيّة. هذه حافظت عليه وغذّته في قلبها، ولم تقيّده بتعليم البشر وتقاليدهم وسياساتهم، بل ظلّت حرّة في داخلها، بحريّة أبناء الله.

ولهذا السبب، عندما سمعت بيسوع وآياته ورأت الجميع يتقاطرون إليه لسماع كلمة الحياة ومشاهدة أعماله، أوحى إليها إيمانها الطبيعيّ أنّ يسوع هو هذا الموعود به، المسيح الآتي، ابن داود، وأنّه مجسّد رحمة الله. فكان نداؤها وإلحاحها.

ما أجمل الايمان! ما أجرأه! الشكر لله الذي مع الايمان الذي يهبه للانسان، كلّ إنسان، يعطيه الشجاعة والحريّة ليعلن حقيقة الله المتجلّية بشخص المسيح، الكلمة المتجسّد.

كم نحن بحاجة إلى المحافظة على عطيّة الايمان، **لنكون أحرارًا حقًّا** من الناس والسياسيين والإيديولوجيّات البشريّة ومن المصالح الرخيصة! كم نحن بحاجة إلى تغذية عطيّة الايمان بسماع صوت الله في الكتب المقدّسة والانجيل وتعليم الكنيسة، **لنعرف الحقيقة المطلقة ونكسب الشجاعة** للجهار بها وتطبيقها كحضارة حياة في الشؤون الروحيّة والخلقيّة والزمنيّة!

يعلّمنا إيمان المرأة الكنعانيّة أنّ الله ليس بأصمّ عن صرخة الايمان، ولهذا أوصى الربّ يسوع: "صلّوا ولا تملّوا. أطلبوا تجدوا، إقرعوا يفتح لكم" (لو ١١/٨-١١).

ويعلّمنا أنّ الايمان يفتح جميع الأبواب، حتّى تلك التي تبدو مقفلة بشكل محكم ونهائيّ. "فالايمان هو الذي غلب العالم. وكلّ مولود من الله يغلب العالم" (١ يو ٥/٤).

أزمة عالم اليوم هي في العمق **أزمة الايمان** على كلّ المستويات. إنّ صحراء عدم الايمان تتقدّم وتقسّي القلوب.

"يا ربّ، زدنا إيمانًا".

■ ثانيًا، البطريركيّة المارونيّة ولبنان

في أواخر المئة سنة الأولى من **عهد المماليك** (١٢٩١-١٥١٥)، بعد استشهاد البطريرك جبرايل من حجولا سنة ١٣٦٧ ظلّ الكرسيّ البطريركيّ المارونيّ شاغرًا لبعض السنوات. ثمّ انتُخب **البطريرك داود من جاج الملقّب بيوحنّا** الذي مات سنة ١٤٠٤، ونجهل تاريخ انتخابه. في عهده، وتحديدًا في سنة ١٣٨٢، عرف الموارنة نوعًا جديدًا من نظام الحكم الداخليّ، وهو حكم **"المقدّمين"**. إنّهم حكّام بعض المقاطعات في الجبل اللبنانيّ، يعيّنهم البطريرك ويخضعون له، ويمنحهم درجة الشدياقيّة، فيحقّ لهم أن يجلسوا في الكنيسة بعد الكهنة، كونهم يؤازرون البطريرك في الشؤون المدنيّة للأمّة المارونيّة؛ إنّهم همزة الوصل بين البطريركيّة ونيابة طرابلس المملوكيّة. وكان للسيّد البطريرك أن يعاقبهم بالحرم الكنسيّ عندما يرتكبون جرمًا، كما حصل بعض الأحيان، ما يشير إلى أنّ سلطة البطريرك كانت فوق كلّ سلطة زمنيّة[١].

وعلى الرّغم من اشتداد الظلم والاضطهاد من المماليك، ظلّ البطاركة الموارنة محافظين على استقلاليّتهم. ففيما كان البطاركة الآخرون يحصلون بعد تنصيبهم على تثبيت مدنيّ من السلطان المملوكيّ "بفرمان"، كان

(١) الأب فرنسوا عقل: أضواء على العلاقات السياسيّة والقانونيّة بين البطريركيّة المارونيّة والدولة اللبنانيّة، صفحة ٣٩-٤٠، حيث توجد مراجع.

البطاركة الموارنة معفيين منه، ولم يجد البحاثة والمؤرخون أيّ وثيقة تثبت خلاف ذلك[٢].

وبسبب الظلم والاضطهاد سكن البطريرك داود في دير مار سركيس قرب قرن حردين.

وانتُخب خلفًا له، بطريرك آخر من جاج، هو **يوحنّا الجاجيّ** (١٤٠٤-١٤٤٥). هو من البطاركة العظام، وقد ساس الطائفة بكلّ أمانة وغيرة وتقوى في أحوال صعبة للغاية، وجنّبها الاضطهادات، وصان إيمانها وأمانتها، ووصل ما انقطع بينها وبين الكرسيّ الرسوليّ. كان انتخابه في دير سيّدة ميفوق، وأقام فيه.

في سنة ١٤٣٨ بلغته دعوة من البابا أوجين الرابع (١٤٣١-١٤٤٧) لحضور مجمع فلورنسا، فأرسل البطريرك الأب جوفاني رئيس رهبان مار فرنسيس في بيروت، ليعرب للبابا وآباء المجمع عن استعداد الكنيسة المارونيّة لقبول كلّ ما يرسمه هذا المجمع، وليطلب منه درع التثبيت "الباليوم" والموافقة على انتخابه بطريركًا. وهذا ما حصل. وفيما كان Fra Giovanni راجعًا من روما حاملاً درع التثبيت وتاجًا هديّة من البابا للبطريرك، أقام له الموارنة في طرابلس استقبالاً حاشدًا في تشرين الأوّل ١٤٣٩ ، فاعتقله نائب المدينة خوفًا من قيام حملة جديدة كحملات الفرنج، وظنًّا منه أنّ مجمع فلورنسا انعقد لهذه الغاية. أرسل البطريرك أعيان الموارنة إلى النائب لتوضيح الأمر وإقناعه بهبة من الدراهم وتخليص الموفد البطريركيّ من السجن. فحصل ذلك. واشترط عليه النائب العودة إليه بعد احتفال تسليم درع التثبيت.

---

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٠ .

كان هذا الاحتفال مهيبًا وشعبيًّا للغاية، وتليت فيه رسالة البابا أوجانيوس المؤرّخة في ٩ حزيران ١٤٣٩. ولم يعد الموفد إلى طرابلس، بل عاد إلى بيروت، فغضب النائب غضبًا شديدًا، وأرسل جنودًا لاعتقال البطريرك والأساقفة، أمّا هم فاختبأوا في أماكن عصيّة. عندها دخلوا المقر البطريركيّ ونهبوه، وأمسكوا بعض الشركاء وأضرموا النار في منازلهم. فانتقل البطريرك والأساقفة إلى دير قنّوبين حيث كان الأمن سائدًا بقوّة المقدّم يعقوب البشرّاني. وكان في النهار يختبئ في مغارة قرب دير قنّوبين خوفًا من عساكر المماليك[٣]. ومنذ تلك السنة انتقل الكرسيّ البطريركيّ من بلاد جبيل إلى دير قنّوبين في الوادي المقدّس.

توفّي البطريرك يوحنّا الجاجيّ سنة ١٤٤٥، ودفن في مغارة القدّيسة مارينا في قنّوبين، ودفن فيها من بعده ١٦ بطريركًا، كان آخرهم البطريرك يوسف الخازن سنة ١٨٥٤. نذكر من بينهم خادم الله البطريرك أسطفان الدويهي (١٦٧٠-١٧٠٤).

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

إذ تواصل الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ المجمعيّ التاسع: "**العلمانيّون**"، فإنّها تعرض اليوم **دور العلمانيّين في البنى الكنسيّة** (الفقرات ١٩-٢٤).

١. **من حيث المبدأ**، يُطلب من العلمانيّ أن يكون ملتزمًا فعليًّا وحقيقيًّا في البنى الكنسيّة، فيتعمّق في إيمانه، ويواصل تنشئته المسيحيّة، وينمّي روح الشركة الكنسيّة، ويضع مؤهّلاته في خدمة الكنيسة، ويتولّى مسؤوليّات في الرسالة الراعويّة، متعاونًا مع كهنة الرعايا ومرشدي

(٣) أنظر التفاصيل في كتاب الأباتي بطرس فهد: بطاركة الموارنة وأساقفتهم من القرن ١٣ إلى ١٥، ص٦٤-٦٨، ورسالة البابا أوجين الرابع إلى البطريرك في الصفحة ٦٩-٧٠.

الحركات الرسوليّة وفقًا لتوجيهات مطران الأبرشيّة والخطّة الراعويّة التي يرسمها سنة بعد سنة.

٢. **من حيث التطبيق**، يحدّد النصّ المجمعيّ ثلاثة قطاعات لدور العلمانيّين في البنى الكنسيّة.

أ. **في الحركات الرسوليّة ومنظّمات العمل الراعويّ** التي تمكّنهم من اكتشاف مواهبهم وعيش خبرة حياتهم وتأدية دورهم بتناغم وتنسيق كاملين في إطار الضوابط الكنسيّة. ما يقتضي مساعدتهم بالتنشئة والإرشاد والتوجيه، ليكونوا فاعلين في قلب الكنيسة المحليّة.

ب. **في المؤسّسات الكنسيّة**، يتاح للعلمانيّين أكثر من مجال: المدارس الكاثوليكيّة على مستوى الإدارة والتعليم والتربية والعمل الروحيّ؛ التعليم المسيحيّ والإرشاد في المدارس الرسميّة والكاثوليكيّة، تنشئة الأطفال والفتيان والشبيبة في الرعايا؛ العمل الراعويّ في الجامعات والمستشفيات والسجون.
يُطلب من العلمانيّين أن يكونوا شهودًا للايمان من خلال ممارسة خدمتهم وعملهم، وبالتالي حجارة حيّة في بناء ملكوت الله الذي هو الكنيسة.

ج. **في اللجان الأسقفيّة والإدارات الكنسيّة العامّة**، حيث للعلمانيّين أدوار واسعة في المجالس الرعويّة واللجان والهيئات والإدارات سواء على مستوى الرعايا والأبرشيّات، أم على مستوى القرارات والاستراتيجيّات. يوجب النصّ المجمعيّ **تحديد المعايير** لاختيار العلمانيين أعضاء في هذه الهيكليّات مثل الالتزام المسيحيّ

المشهود له والكفاءة العلميّة، والثقافة الكافية، وروح الشركة الكنسيّة، والخدمة المتواضعة والمتجرّدة. كما يوجب **تحديد الصلاحيّات والمهامّ** على مستوى التقرير والمشاورة.

***

صلاة

يا ربّ، لقد أرسلت الكنيسة، رسلاً ورعاة ومؤمنين، لإعلان إنجيل الخلاص بالمسيح لجميع الشعوب، من أجل الارتداد إلى الله والايمان وتغيير نمط الحياة. أعطنا أن نصغي، على مثال بولس الرسول، إلى نداء الإرسال، فنعلن الانجيل بحماس وثبات. أعطنا أن نشعر بعطش الشعوب إلى خبر سار في حياتهم، وهذا الخبر هو إنجيلك يهدي الانسان إلى تحقيق ذاته وإلى الايمان الذي يخلّص ويحيي. بارك أبناء الكنيسة وأضرم في قلوبهم شعلة الرجاء ليصمدوا بوجه الظلم والاضطهاد، وحرّك فيهم الغيرة للانخراط في عمق حياتها ورسالتها. لك المجد والإكرام أيّها الآب والابن والروح القدس، الآن وإلى الأبد، آمين.

الأحـد الثالث عشر من زمن العنصرة

المؤمنون عمل الله

من رسالة القدّيس بولس الرسول: ١ كورنتس ٣/١-١١

أَنَـا، أَيُّهَا الإِخْـوَة، لَـمْ أَسْـتَـطِـعْ أَنْ أُكَـلِّـمَـكُـم كَـأُنَـاس رُوحَـانِـيِّـيـنَ بَـلْ كَـأُنَـاس جَسَدِيِّين، كَأَطْفَالٍ في الـمَسِيح. قَدْ غَذَوْتُكُم بِالـحَلِيبِ لا بِالطَّعَام، لأَنَّكُم لَمْ تَكُونُوا بَعْدُ قَادِرِين، ولا حَتَّى الآنَ أَنْتُم قَادِرُون. فَأَنْتُم لا تَزَالُونَ أُنَاسًا جَسَدِيِّين: فَمَا دَامَ بَيْنَكُم حَسَدٌ وَخِصَام، أَفَلا تَكُونُونَ جَسَدِيِّين، وسُلُوكًا جَسَدِيًّا تَسْلُكُون؟ فإِذَا كَانَ أَحَدُكُم يَقُول: أَنَا لِبُولُس! وآخَر: أَنَا لأَبُلُّوس! أَفَلا تَكُونُونَ جَسَدِيِّين؟ فمَا هوَ أَبُلُّوس؟ ومَا هوَ بُولُس؟ هُمَا خَادِمَانِ آمَنْتُم عَلى أَيْدِيهِمَا، عَلى قَدْرِ مَا أَعْطَى الرَّبُّ كُلاًّ مِنْهُمَا. أَنَا غَرَسْتُ، وأَبُلُّوسُ سَقَى، ولـكِنَّ اللهَ هُوَ الَّذي كَانَ يُنْمِي. فلا الغَارِسُ بِشَيءٍ ولا السَّاقِي، بَلِ اللهُ الَّذي يُنْمِي! لـكِنَّ الغَارِسَ والسَّاقِي وَاحِد، وكُلٌّ مِنْهُمَا يَأْخُذُ أَجْرَهُ عَلى قَدْرِ تَعَبِهِ. فَنَحْنُ مُعَاوِنَانِ لله، وأَنْتُم حَقْلُ اللهِ وَبِنَاءُ الله. وأَنَا بِنِعْمَةِ اللهِ الَّتي وُهِبَتْ لي، وَضَعْتُ الأَسَاسَ كَبَنَّاءٍ حَكِيم، لـكِنَّ آخَرَ يَبْنِي عَلَيْه: فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْه! فَمَا مِنْ أَحَدٍ يُمْكِنُهُ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الأَسَاسِ الـمَوْضُوع، وهُوَ يَسُوعُ الـمَسِيح.

***

كتب بولس إلى الجماعة المسيحيّة التي في كورنتس، المدينة الصاخبة بما فيها من إباحيّة وشقاق وخلافات ومخاصمات داخليّة وإغراء الحكمة الفلسفيّة من أصل وثنيّ. كتب إليهم من أفسس، وقد بلغته أخبار انقسام المسيحيّين بين مؤيّد له ومؤيّد لأَبُلّس. فكان جوابه أنّ الاثنين عاملان مع الله، وأنّ الجماعة المؤمنة عمل الله.

■ أوّلاً، شرح نصّ الرسالة وربطه بنصّ الانجيل

١. المؤمنون عمل الله

شجب بولس الرسول **الانقسام القائم** في جماعة كورنتس المسيحيّة، فبعض منهم تحزّب لأبلّس، وهو يهوديّ مرتدّ أصبح مبشّرًا مسيحيًّا عظيم الشأن لفصاحته التي ربّما ضاهت فصاحة بولس، وقد أدّى مساعدة كبيرة لمسيحيي كورنتس، والبعض الآخر تحزّب لبولس.

وصفهم في هذا الانقسام والتحزّب **بأنّهم ما زالوا "جسديّين"**، أي سالكين حسب أهواء الجسد لا حسب فضائل الروح، وقال لهم: "أنتم بعدُ جسديّين، وما زال فيكم حسدٌ وخصام وانقسام" (١ كور ٣/٣).

هذا الشجب وهذا الوصف موّجه إلينا اليوم نحن المسيحيّين. فكلّ انقسام بيننا هو منافٍ للايمان وللمحبّة. فعندما صلّى الربّ يسوع من أجل وحدة المسيحيّين قال: "ليكونوا واحدًا، لكي يؤمن العالم أنّك أنت أرسلتني، وأنّك أحببتهم كما أحببتني" (يو ١٧/٢٣). انقسامهم يطعن في مصداقيّتين: أنّ المسيح الذي أرسله الآب هو مبدأ وحدة المؤمنين به، من أجله يتجاوزون كلّ شقاق وانقسام؛ وأنّ محبّة الله هي شريعتهم التي تجمعهم، ومن أجلها وبروحها يصلحون كلّ خلاف.

يخرجهم بولس من هذا الانقسام مؤكّدًا أنّه **هو وأبلّس معاونان للّه**، أمّا هم **المؤمنون "فعمل الله"** (١ كور ٣/٩). وسيقول لأهل فيليبّي: "إنّ الله يعمل في كلّ ما تريدون وتنجزون" (فيليبّي ٢/١٣).

ويؤكّد لهم أنّهم **"حقل الله"** (٣/٩) وأنّهم مغروسون فيه مثل **"كرمة"** يتعهّدها بيمينه، بواسطة أَبلّس وبولس الساقيين. لكنّ الله هو الذي ينمّيها ويحضنها بالمسيح الذي هو "الكرمة الحقيقيّة". جماعة المؤمنين أغصان فيها، وهو يعطيها الحياة والخصوبة (يو ١٥/١-١٥).

ليس أحد من المؤمنين من عمل إنسان، إنّما من عمل الله. إنّ الذين على أيديهم يتمّ عمل الله هم مجرّد معاونين و"أداة"، أمّا الإخلاص والشكر والانتماء فإلى الله لا إلى البشر. **الكنيسة-السرّ هي الكرمة** المغروسة في حقل الله: الآب غرسها، والابن المسيح كوّنها وجمعها، والروح القدس يحييها ويخصبها. رعاة الكنيسة موكّلون بحراستها وحراثتها وتشذيبها بكلمة الانجيل ونعمة الأسرار ورعاية المحبّة.

ويؤكّد لهم أنّهم **"بنيان الله"** (٣/٩) الذي أساسه المسيح، وبولس كبنّاء حكيم بنى عليهم (٣/١٠). كلّ العاملين في الكنيسة، على مختلف مستوياتهم ومسؤوليّاتهم، مدعوّون ليبنوا هم أيضًا على هذا الأساس، يسوع المسيح. وسيؤدّي الجميع حسابًا على كيفية بنائهم (١ كور ٣/١٢-١٥). **الكنيسة هي بنيان الله** المبنيّ على أساس المسيح وإيمان بطرس، ولذا تسمّى **"مسكن الله بالروح"** (أفسس ٢/١٩-٢٢)، و**"سكنى الله بين البشر"** (رؤيا ٣١/٣) و**"هيكل الله المقدّس"** والمؤمنون "حجارته الحيّة" (١ بطرس ٢/٥).

٢. المؤمنون أرض طيّبة لزرع الله (لوقا ٨/٤-١٥)

يشبّه الربّ يسوع **كلمة الله بالزرع**. إنّها حاملة الحياة، وتنتظر أن تقع

في الأرض الطيّبة. **المؤمنون هم "الأرض الطيّبة** الذين يسمعون الكلمة بقلب نقيّ صالح ويتمسّكون بها، فيثمرون بالصبر الواحد مئة" (لو ٨/٨ و١٥).

ليس الانسان أرضًا لقبول كلام البشر وحفظه وتثميره، بل لقبول كلام الله وأيّ كلام بشريّ آخر منسجم ومتّفق مع كلام الله، لئلاّ تأتي الثمار رديئة. كم من الناس يسمعون فقط لكلام البشر، ويفضّلونه على كلام الله، ويعملون بموجبه خلافًا لكلام الله الواضح والصريح؟ ولهذا، كثر الفساد والكذب والظلم والحقد والأضاليل في المجتمع البشريّ.

لقد أصبح مجتمعنا الذي يصغي فقط لكلام البشر والزعماء، أشبه ببرج بابل، تلك المدينة التي شاء شعبها أن يبنيها بمعزل عن الله وكلامه وتعليمه ووصاياه، فبلبلهم الله ومزّقهم وشتّتهم على وجه الأرض (تكوين ١١/١-٩).

أليست هذه حال مجتمعنا؟ **خلاصنا أن يعود كلّ واحد منّا إلى أصالته وكرامته:** إنّه أرض طيّبة ذات عقل واعٍ، وضمير حيّ، وقلب نقيّ وإرادة حسنة، ليقبل كلام الله ويثمر حضارة قيم إنسانيّة وخلقيّة وروحيّة.

يشجب الربّ يسوع **ثلاثة مواقف سلبيّة** تجاه كلام الله الخارج إلينا من فم الله:

- **موقف المهملين** المشبّه بقارعة الطريق حيث يداس الزرع وتأكله طيور السماء، للدلالة أنّ كلام الله يُقبل منهم بعدم الاكتراث فينتزعه الشيطان بسهولة.
- **موقف السطحيّين** الذين ينقصهم العمق الروحيّ والجذور، فتموت عندهم كلمة الله أمام أيّ تجربة، بسبب يباس عقولهم وضمائرهم وقلوبهم. إنّهم مشبّهون بالأرض الحَجِرة التي لا تربة فيها، فينبت الزرع حالاً ثمّ ييبس لقلّة الرطوبة.

- **موقف المستهلكين** المنهمكين بشؤون الأرض وهمومها، أكلاً وشربًا ولباسًا. هؤلاء لا يثمرون ثمار كلمة الله وتعليم الكنيسة، لأنّ شهوات العين والجسد وكبرياء الحياة تخنق الكلمة والتعليم. فهم مشبّهون بالأرض الملأى بالأشواك التي تخنق الزرع فلا يثمر (لو ٨/٥-٧، ١٢-١٤).

■ ثانيًا، البطريركيّة المارونيّة ولبنان

نختتم وقائع البطاركة الموارنة في الحياة اللبنانيّة في الستّين سنة الأخيرة من عهد المماليك (١٢٩١-١٥١٥). تعاقب على الكرسيّ البطريركيّ ثلاثة بطاركة من حدث الجبّة، هم يعقوب الحدثيّ وبطرس الحدثيّ وسمعان أو شمعون الحدثيّ. الأخير منهم عايش نهاية عهد المماليك وبداية عهد العثمانيّين.

١. البطريرك يعقوب الحدثيّ (١٤٤٥-١٤٥٨)

هو أوّل بطريرك انتخب في وادي قنّوبين. عايش ثلاثة بابوات في عهده الذي دام اثنتي عشرة سنة، وكاتبهم، ومتّن الروابط بين الكنيسة المارونيّة وكرسيّ روما. طلب درع التثبيت من البابا أوجانيوس الرابع (١٤٣١-١٤٤٧)، لكنّ البابا توفّي قبل الإجابة على رسالة البطريرك. فكتب إليه خلفه البابا نقولا الخامس (١٤٤٧-١٤٥٥)، ثمّ كتب له أيضًا البابا كاليستوس (١٤٥٥-١٤٥٨).

في الرسالة الأولى سنة ١٤٤٧، يشدّد البابا نقولا الخامس الروابط بين كرسيّ روما والكنيسة المارونيّة، ويعيّن معتمدًا للكرسيّ الرسوليّ في مملكة قبرص وبعض نواحي الشرق للجوء إليه عند الحاجة، وترتيب الشؤون المشتركة بينهم وبين الكرسيّ الرسوليّ.

في الرسالة الثانية، وهي موجّهة من البابا كاليستوس في ١٤ حزيران ١٤٥٥ يثني على وحدة الايمان الكاثوليكيّ التي تجمع بين الكرسيّ الرسوليّ والكنيسة المارونيّة.[1]

إنّ هاتين الرسالتين، كما الرسالة التي وجّهها من قبل البابا أوجانيوس الرابع إلى البطريرك يوحنّا الجاجيّ، وسواها من رسائل وبراءات باباويّة مرسلة إلى بطاركة الكنيسة المارونيّة وأساقفتها واكليروسها وشعبها، وأحصي عددها بسبع عشرة رسالة وبراءة من بين سنة ١٤٤١ و١٥١٥[2]، تدوران بنوع خاصّ حول وحدة الكنائس في أعقاب مجمع فلورنسا ١٤٣٨ ولاسيّما الكنائس الشرقيّة المنفصلة عن روما.

هذه كلّها تدلّ على وحدة الموارنة وتعلّقهم الدائم بكرسيّ روما، ما حفظ وحدتهم العائليّة والاجتماعيّة والوطنيّة، حول شخص البطريرك، حافظ هذه الوحدة ومعزّزها. وهكذا، تمكّنوا من الصمود بوجه الظلم في عهد المماليك.

٢. البطريرك بطرس الحدثيّ (١٤٥٨-١٤٩٢)

دام عهد بطريركيّته ٣٤ سنة. شدّد هو أيضًا على وحدة الايمان الكاثوليكيّ في الكنيسة المارونيّة وأنفذ رسائل إلى بابا روما بهذا الشأن سنة ١٤٦٩، بعد أن جمع الأساقفة والاكليروس وعامّة الشعب. فوجّه الرسائل إلى البابا بولس الثاني بواسطة المرسلين الفرنسيسكان المنتدبين. ثمّ كتب إلى خلفه البابا سيكستوس الرابع (١٤٧١-١٤٨٤)، وطلب اهتمامه بالموارنة المشتّتين في بلاد بعيدة، بين غير المؤمنين.

---

(١) نشر الرسالتين الأباتي بطرس فهد في كتابه: بطاركة الموارنة وأساقفتهم من القرن ١٣ إلى ١٥، صفحة ٧٨-٧٩؛ ٨٣.

(٢) نشرها الأب طوبيّا العنيسي بنصّها اللاتينيّ: Bullarium Maronitarum, Roma 1911, p. 13-43.

في هذه الحقبة الزمنيّة نَعِم جبل لبنان بالطمأنينة والراحة بفضل ولاية المقدّمين الملتفّين حول السيّد البطريرك، وكثرت دور العبادة ولاسيّما في بشرّي. وعندما راح بعض اليعاقبة الرافضين عقيدة المجمع الخلقيوني (٤٥١)، يتسلّلون بين الموارنة لاستمالتهم إلى مذهبهم، تصدّوا لهم وطردوهم من مناطقهم. وكان قد سقط في شرك اليعاقبة المقدّم عبد المنعم، ما خلق في الجبل انقسامًا، سرعان ما تمكن موارنة إهدن من وضع حدّ له وطردوا اليعاقبة.[٣]

ومن ناحية ثانية، كان حكّام المماليك يعتدون بظلم على الموارنة وبيوتهم وينهبونها، بحجّة تحصيل الضرائب، ويضربون الفقراء العاجزين عن دفعها. فاضطر البطريرك بطرس الحدثيّ على بيع آنية الكنائس، والتبرّع بمداخيل الكرسيّ البطريركيّ لدفع الضرائب عن الفقراء. واستغاث بقداسة البابا فبادر إلى المساعدة وتخفيف الأثقال عن شعب لبنان.[٤]

٣. البطريرك سمعان أو شمعون الحدثيّ (١٤٩٢-١٥٢٤)

هو ابن شقيق البطريرك بطرس الحدثيّ. دامت ولايته ٣٢ سنة. منها ٢٣ سنة في آخر عهد المماليك. تأخّر في طلب درع التثبيت حتّى سنة ١٥١٤، وأوفد الأب بطرس المارونيّ إلى روما لهذه الغاية، حاملاً رسالة إلى البابا لاون العاشر، مؤكّدًا فيها أمانة الموارنة على الوحدة مع كرسيّ روما. ولكن، بسبب صعوبة الطريق في البحر والحروب المتواصلة في بلاد الشام، لم يستطع الموفد البطريركيّ الوصول إلى روما، إلاّ بعد سنة. سنعود إلى الموضوع بكلامنا عن عهد العثمانيّين.

(٣) الأباتي بطرس فهد المرجع المذكور، ص ٩٠-٩٣.

(٤) الخوراسقف يوسف داغر: تاريخ البطاركة، ص ٤٢.

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تواصل الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ المجمعيّ التاسع: **العلمانيّون**، في القسم الأخير من فصله التاسع، وهو **دور العلمانيّين في البنى المدنيّة** (الفقرات ٢٥-٣٠). يعرض النصّ روحانيّة دورهم وقطاعات شهادتهم.

١. روحانيّة الدور

المسيحيّون العلمانيّون مدعوّون ليكونوا في مجتمعاتهم ومجالات عملهم وفي عائلاتهم "شهودًا للانجيل" بحياة مسيحيّة ملتزمة، تناغم بين إيمانهم وحياتهم المهنيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، إذ يطبعون هذه بقيم الانجيل. إنّهم مدعوّون ليعملوا من الداخل، "كالخمير في العجين"، على تقديس الشؤون الزمنيّة، عائشين بصدق ومحبّة، بالاتكال على النعمة الإلهيّة التي تعضد وتوجّه، وتقوّي وتعزّي، ومؤمنين بقدرة الحقيقة والمحبّة على التغيير في المجتمع.

٢. قطاعات شهادتهم المسيحيّة

أ. **العلاقة مع الديانات الأخرى** إنطلاقًا من "لبنان الرسالة"، ومن واقعه الموصوف "بالتعدّديّة في الوحدة". تقوم هذه العلاقة على قبول الآخر المختلف واحترام الفوارق. من أجل تعزيز هذه العلاقة، لا بدّ من الخروج من ثلاث حالات: **الحذَر** المبنيّ على الأحكام المسبقة والاختبارات المريرة، **والخوف** من امتداد التيّارات الأصوليّة الإسلاميّة وجنوحها إلى التفرّد بالسلطة، **والإحباط** الذي يؤدّي إلى التقوقع وإلى الهجرتين الحسيّة والنفسيّة.

فلا بدّ من ترسيخ مفهوم "لبنان الرسالة"، وروابط الشركة، والالتزام

ببناء الوطن المشترك، بحوار الحياة والتواصل والانفتاح وتغيير الذهنيّات.

ب. **في الحياة الاقتصاديّة** من واجب المسيحيّين العلمانيّين الجمع بين الإنتاج الاقتصاديّ والقيم الانسانيّة والروحيّة والأخلاقيّة، على ثلاث قواعد متلازمة ومتكاملة: الربح، ورعاية المصلحة العامّة، والأخلاقيّة في التعامل. وتذكّر الكنيسة في تعليمها الاجتماعيّ بواجب أولويّة إنماء الذات بكلّ أبعادها على المقتنى، وبواجب التضامن مع الفقراء؛ فالملكيّة الخاصّة والربح مقيّدان برهن اجتماعيّ، بحيث ليُتاح للفقير أن ينعم من مائدة الغنيّ.

ج. **في الحياة السياسيّة**، المسيحيّون العلمانيّون مدعوّون إلى المشاركة فيها من أجل خدمة الخير العامّ. فإنّها تشمل النشاط الاقتصاديّ والاجتماعيّ والتشريعيّ والإداريّ والثقافيّ. وبحكم معموديّتهم يشاركون في وظائف المسيح النبويّة والكهنوتيّة والملوكيّة.

نبويًّا، يُجسّدون قيم الانجيل في حياتهم اليوميّة ونشاطاتهم، ويعبّرون عن رجائهم في عمليّة التغيير. **كهنوتيًّا**، يجعلون من أعمالهم قرابين روحيّة يسبّحون بها الله ويكمّلون عمل الخلق. **ملوكيًّا**، يخدمون بالتفاني والمحبّة والعدالة (رجاء جديد للبنان، ١١٣). إنّهم بذلك يأنسنون السياسة ومجالات عملها على مستوى الانسان والمجتمع والدولة.

د. **في الحياة المهنيّة** المسيحيّون العلمانيّون مدعوّون ليجمعوا بين الايمان ومقتضياته الروحيّة والأخلاقيّة وبين ممارسة المهن على اختلاف أنواعها، واضعين نصب أعينهم تحقيق الخير العامّ والعمل

بصدق وأمانة. ويدعو المجمع إلى تعزيز راعويّة خاصّة بالمهن وأصحابها والعاملين فيها، حفاظًا على القيم الانسانيّة والاجتماعيّة، وتجذّرًا في أرض الوطن، وتفعيلاً للتضامن والإنماء الشامل على مستوى الشخص البشريّ والمجتمع.

***

صلاة

أيّها الربّ يسوع، نسألك أن تتعهّد بيمينك المؤمنين الذين غرستهم في الكنيسة، كرمِك الروحانيّ. إحفظهم في وحدة الحقيقة والمحبّة ليؤمن العالم أنّك أنت المبدأ لوحدة الشعوب، وأنّ المحبّة وحدها تجمعهم. حرّر الشعوب من روح التبعيّة لهذا وذاك في المجتمع والكنيسة، ليعيشوا في جمال حريّة أبناء الله، ويميّزوا بين ما هو خير وشرّ، حقّ وباطل، عدالة وظلم. ساعدنا لنكون مثل الأرض الطيّبة، نقبل كلامك في عقول صافية وضمائر واعية وقلوب منقّاة، لكي يثمر فينا كلام الانجيل حضارة حياة. أعضد رعاة الكنيسة في حماية أبنائها وحفظهم في الوحدة والايمان، ليشهدوا لقيم الانجيل في شؤونهم الزمنيّة، فنرفعَ التسبيح والشكر للآب والابن والروح القدس، الآن وإلى الأبد، آمين.

الأحد الرابع عشر من زمن العنصرة

كلمة الله تنير المسؤوليّات

من رسالة القدّيس بولس الرسول: ١ تسالونيكي ١/٢-١٣

يا إخوَتِي، وأَنْتُم أَنْفُسُكُم تَعْلَمُونَ، أَيُّهَا الإِخْوَة، أَنَّ دُخُولَنَا إِلَيْكُم لَمْ يَكُنْ باطِلاً. ولـكِنْ، كَمَا تَعلَمُون، بَعْدَ أَنْ تَأَلَّمْنَا وشُتِمْنَا في فِيلِبِّي، تَجَرَّأْنَا بِإِلـهِنَا أَنْ نُكَلِّمَكُم بإِنْجِيلِ الله، في جِهَادٍ كَثِير. ولَمْ يَكُنْ وَعْظُنَا عَنْ ضَلال، ولا عَنْ نَجَاسَة، ولا بِمَكْر،

بَلْ كَمَا اخْتَبَرَنَا اللهُ فَأَمَّنَنَا على الإِنْجِيل، هـكَذَا نَتَكَلَّم، لا إِرْضَاءً لِلنَّاسِ بَلْ للهِ الَّذي يَخْتَبِرُ قُلُوبَنَا. فَإِنَّنا ولا مَرَّةً أَتَيْنَاكُم بِكَلِمَةِ تَمَلُّق، كَمَا تَعْلَمُون، ولا بِدَافِعِ طَمَع، واللهُ شَاهِد، ولا طَلَبْنَا مَجْدًا مِنْ بَشَر، لا مِنْكُم ولا مِنْ غَيرِكُم، مَعَ أَنَّنَا قادِرُونَ أَنْ نَكُونَ ذَوِي وَقَار، كَرُسُلٍ لِلمَسِيح، لـكِنَّنَا صِرْنَا بَيْنَكُم ذَوِي لُطْف، كَمُرْضِعٍ تَحْتَضِنُ أَوْلادَهَا. وهـكَذَا فَإِنَّنَا مِنْ شِدَّةِ الـحَنِينِ إِلَيْكُم، نَرْتَضِي أَنْ نُعْطِيَكُم لا إِنْجِيلَ اللهِ وحَسْب، بَلْ أَنْفُسَنَا أَيْضًا، لأَنَّكُم صِرْتُم لَنَا أَحِبَّاء. وإِنَّكُم تَتَذكَّرُون، أَيُّهَا الإِخْوَة، تَعَبَنَا وكَدَّنَا: فَلَقَد بَشَّرْنَاكُم بِإِنْجيلِ الله، ونَحْنُ نَعْمَلُ لَيْلَ نَهَار، لِئَلاَّ نُثَقِّلَ عَلى أَحَدٍ مِنْكُم. أَنْتُم شُهُود، واللهُ شَاهِد، كَيْفَ كُنَّا مَعَكُم، أَنْتُمُ الـمُؤْمِنِين، في نَقَاوَةٍ وبِرٍّ وبِغَيرِ لَوم، نُعامِلُ كُلاً مِنْكُم، كَمَا تَعْلَمُون، مُعَامَلَةَ الأَبِ لأَوْلادِهِ. وكُنَّا نُنَاشِدُكُم، ونُشَجِّعُكُم، ونَحُثُّكُم على أَنْ تَسْلُكُوا مَسْلَكًا يَلِيقُ بالله، الَّذي يَدْعُوكُم إِلى مَلَكُوتِهِ

ومَجْدِهِ. لِذَلِكَ نَحْنُ أَيضًا نَشكُرُ اللهَ بغيرِ ا]نقِطَاع، لأَنَّكُم لَمَّا تَلَقَّيْتُم كَلِمَةَ اللهِ الَّتي سَمِعْتُمُوهَا مِنَّا، قَبِلْتُمُوهَا لا بِأَنَّهَا كَلِمَةُ بَشَر، بَلْ بِأَنَّهَا حَقًّا كَلِمَةُ اللهِ. وإِنَّهَا لَفَاعِلَةٌ فيكُم، أَيُّهَا المُؤْمِنُون.

***

رسالة بولس الرسول إلى أهل تسالونيكي هي أولى رسائله وأقدم وثيقة مسيحيّة، كتبها إليهم سنة ٥١، بعد موت يسوع بحوالى ٢٠ سنة. تسالونيكي مدينة تجاريّة مزدهرة بفضل مرفأها على بحر إيجه الذي يتّصل بالبحر الأدرياتي. وهي أكبر المدن بسكّانها، وعاصمة إقليم مقدونيه في الإمبراطوريّة الرومانيّة. وأصبحت سنة ٤٢ قبل المسيح مكان الإدارة القيصريّة المتمثّلة بنائب قنصل.

قدم إليها بولس سنة ٥٠ أثناء رحلته الرسوليّة الثانية، لكنّها كانت أوّل عاصمة دخلها في أوروبا. وكان يعيش فيها كثير من الغرباء، وفيهم جالية يهوديّة هامّة. فلمّا بشّر بالمسيح واعتنق المسيحيّة كثيرون من اليهود والدخلاء وبخاصّة من الوثنيين. لكنّ الجالية اليهوديّة تصدّت له، أوقفت عمله بخشونة، واتّهموه والمبشّرين معه، أي سيلاّ وطيموتاوس، بمخالفة أوامر قيصر، وجرّوا بعض المسيحيّين إلى القضاة (أعمال الرسل ١٧/٤-٩). فاضطر بولس أن يرحل عن المدينة ليلاً مع بعض الإخوة. وهكذا ترك جماعة في أوّل نشأتها.

■ أوّلاً، شرح نصّ الرسالة وربطه بنصّ الانجيل

١. إعلان إنجيل المسيح بجرأة وثبات

يخاطب بولس أهل تسالونيكي بكثير من المودّة وبقلب منشرح.

يذكّرهم أوّلاً بالاضطهاد والإهانة والعذاب الذي لقيه، هو وسيلا، في فيليبّي (٢/٢). لكنّه اختبار مرير أكسبه الكثير من الشجاعة والاقتناع بقدرة الله وبقوّة الحقيقة (أنظر أعمال الرسل ١٦/١٦-٤٠). بالعودة إلى هذا النصّ نفهم معنى قوله: لكنّا جرؤنا، لثقتنا بإلهنا، أن نكلّمكم ببشارة الله في جهاد كثير.

حادثة السجن في فيليبّي، والشهادة التي أدّاها بولس وسيلاً بعدم الهروب مثل سائر السجناء، أثمرت ارتداد حارس السجن وتبرئتهما المشرّفة. إنّ قوّة الرسول، كلّ رسول، إنّما من قدرة مرسله ومن إيمانه وثقته به.

يتكلّم عن "**اختيار الله**" له في السجن في فيليبّي، فيستنتج "ائتمان الله له على بشارة الانجيل". ولهذا لا يكون "وعظه عن ضلال ولا فجور ولا مكر. ولا يتكلّم ليرضي الناس، بل ليرضي الله الذي يختبر قلوبنا" (١ تسا ٢/٣-٤).

هذه **عبرة وأمثولة** لكلّ مسؤول عن إعلان الانجيل، ولكلّ مربّ، بل لكلّ صاحب سلطة يخاطب الشعب بشأن أي قضيّة، زمنيّة كانت أم روحيّة. "فلا سلطة إلاّ من الله"، ولا يستطيع صاحبها أن يتصرّف خلافًا لما يريد الله الذي يفحص القلوب ويعرف ما يجول في خاطر الانسان.

٢. مزايا المسؤول

المسؤول، كلّ مسؤول، مدعوّ ليكون أمينًا لله الذي سلّمه مسؤوليّة الخدمة، في العائلة والكنيسة والمجتمع والدولة. إذا عاش هذه الأمانة اغتنى بالمزايا التي زيّنت نفس بولس وسيلاً (١ تسا ٢/٥-٨):

- لا ينطق بكلام تملّق، ولا يضمر طمعًا، ولا يطلب مجدًا بشريًّا لقاء رتبته.

- يعامل بحنان الأمّ من هم في عهدته، يجود بنفسه من أجلهم وقد أصبحوا أحبّاء له.

- لا يثقّل على أحد لتأمين عيشه الماديّ، بل يعمل في الليل والنهار، ويعامل الجميع بإخلاص وعدل من دون نقص ولوم، معاملة الأب لأولاده.

- يدعو ويشدّد على السيرة الجديرة بالله، الذي يدعونا لنكون جديرين بمجد ملكوته.

في زمن أصبحت فيه المسؤوليّة والسلطة لدى الكثيرين خدمة للذات وللمآرب الشخصيّة، وتسلّطًا ورشوة، وكلامًا كاذبًا، وسيرةً عاطلة، وتحريضًا على القتل والعداوة والشغب والهدم، كم نحن بحاجة إلى مسؤولين يتصالحون مع الله والناس، لتسلم العائلة والمجتمع والدولة.

الإرشاد الرسوليّ "**رجاء جديد للبنان**" يذكّر العاملين في الحقل العامّ، السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ، بواجب الالتزام بما تقتضي منهم مسؤوليّتهم من احترام للموجبات الأخلاقيّة، ومن تجرّد، بحيث يُخضعون المصالح الفرديّة والفئويّة لخير الأمّة العامّ، ويتجاوزون الأنانيّات (الفقرة ٩٤). فإن عملوا بروح المشاركة في المسؤوليّة وبروح التضحية، ينجو نظام العلاقات العامّة من الخلل، وتتعزّز الثقة لدى المواطنين بمؤسّسات الدولة، وتحفظ كرامة الجميع والمساواة في الحقوق والواجبات: هذه المزايا توفّر خدمة الخير العامّ الذي منه خير الجميع وخير كلّ واحد (الفقرة ٩٢).

٣. الإنجيل ينير الواقعات الزمنيّة

يُتلى في هذا الأحد إنجيل القدّيس لوقا (١٠/٣٨-٤٢)، وفيه زيارة يسوع لبيت مرتا ومريم.

مرتا انهمكت بواجب الخدمة والضيافة، **ومريم** جلست عند قدمي الربّ يسوع تسمع كلامه. فكان جواب يسوع على اعتراض مرتا: "مرتا، مرتا المطلوب واحد. أمّا مريم فقد اختارت لها حظًّا صالحًا لا يُنزع منها". إنّه كلام نبويّ ينير كلّ نشاط يقوم به الانسان.

قوله يعني أنّ من يسمع كلام الله ويستنير به، يحسن العمل بالواجب، ويأخذ عمله قيمة ومعنى، وهو شخصيًّا يفرح ويتعزّى. هذا شأن الذين يقومون بواجبهم بفرح وسخاء وحبّ واندفاع. ولكن، من دون الاستنارة الروحيّة، يأتي عمل الواجب ناقصًا، ويعتبره صاحبه عبئًا ثقيلاً، ويؤدّيه عن غير حماس وفرح.

الانسان مشدود في آن إلى عالمَين: عالم الله وعالم البشر، وله بُعدان: عاموديّ وأفقيّ. لا يستطيع الانسان أن يعيش البعد الأفقيّ في عالم البشر، ويقوم بواجباته في الحقّ والعدل والإنصاف، من دون الاصغاء لكلام الله واستلهامه عموديًّا. ولا يستطيع أن يحمل قيم عالم الله إلى عالم البشر من دون الاتحاد عاموديًّا بالله والقدّيسين.

تحتاج الحريّة البشريّة إلى مرجعيّة الحقيقة. هذه وحدها تجمع وتحرّر، وبدونها تحكّمٌ وانشقاق وعبوديّات. إذا انفكّ الرباط بين الحريّة والحقيقة، أصبح "الأنا" مع كلّ رغباته المعيار الوحيد والنهائيّ، وتحت مظاهر الحريّة أصبح سجنًا. هذا هو تيّار النسبيّة (relativisme) الذي يجعل تعدّديّة المواقف تعدّديّة على ذات المستوى، ما يفقد الحقيقة طابعها الاستئثاريّ، انطلاقًا من

الافتراض بأنّها تظهر بشكل متساوٍ في العقائد المختلفة، بل والمتناقضة. عندما ينكر الانسان قدرته الأساسيّة على البلوغ إلى الحقيقة، إنّما يرتاب من طاقته على معرفة ما هو حقّ بالواقع، فيخسر ما يستطيع أن يأسر عقله ويغوي قلبه (مجمع عقيدة الايمان: مذكّرة حول بعض وجوه الأنجلة، ٤).

هذا هو "المطلوب الواحد" و "الحظّ الصالح" الذي أشار إليه المسيح في جوابه لمرتا. وهو إيّاه تدعو إليه الكنيسة عندما تعلن الانجيل في الكرازة والتعليم والموقف. إنّها تريد فقط أن تقدّم مجّانًا للناس والشعوب ما قبلته هي مجّانًا. تفعل ذلك بشخص رعاتها وأبنائها وبناتها الملتزمين بتعليمها ورسالتها. يخبر كتاب أعمال الرسل "أنّ تلاميذ المسيح، في الكنيسة الناشئة، بذلوا جهدهم لحمل الناس على الاعتراف بالمسيح ربًّا، لا بالكرازة ولا بالمهارة، بل قبل كلّ شيء بقوّة كلمة الله" (الكرامة البشريّة، ١١).

■ ثانيًا، البطريركيّة المارونيّة ولبنان

١ . بين أواخر عهد المماليك وبداية عهد العثمانيّين الذي دام أربعماية سنة (١٥١٦-١٩١٨)، برزت شخصيّة **البطريرك سمعان أو شمعون الحدثي**، (١٤٩٢-١٥٢٤). لقد عاصر ستّة باباوات: إسكندر السادس (١٤٩٢-١٥٠٣) وبيّوس الثالث (١٥٠٣) ويوليوس الثاني (١٥٠٣-١٥١٣) ولاوون العاشر (١٥١٣-١٥٢١) وأدريانوس السادس (١٥٢٢-١٥٢٣) وكليمنضوس (١٥٢٣-١٥٣٤). فوطّد العلاقة مع روما على أسس العقيدة الكاثوليكيّة، من خلال رسائل متبادلة معهم، وزوّار رسوليين من الآباء الفرنسيسكان حافظي الأراضي المقدّسة. وتوضّحت سلامة عقيدة الموارنة وليتورجيّتهم وتنظيمهم الكنسيّ.[1]

(١) أنظر الرسائل لدى الأباتي بطرس فهد: **بطاركة الموارنة وأساقفتهم في القرن السادس عشر**، صفحة ٧-١٧.

وفي عهده، عاد سنة ١٤٩٣ من روما الراهب الفرنسيسكانيّ جبرايل ابن القلاعي من لحفد، الذي أصبح مطران قبرص سنة ١٥٠٥ وتوفّي في شباط ١٥١٦. كان ذراع البطريرك الأيمن في مواجهة الهرطقات وتصحيح ما كان اليعاقبة يعلّمون وينشرون بين الموارنة. عُرف ابن القلاعي بغيرته وغزارة علومه وقداسته، وترك العديد من المصنّفات، نذكر من بينها "كتاب الطوباويّ مارون"، فضلاً عن الزجليّات المتضمّنة مدائح نشر منها خمسٌ وأربعَ عشرةَ مرحلةً من تاريخ الطائفة المارونيّة في جبل لبنان.[٢]

وفي سنة ١٥١٠، وبسبب الضيق العظيم على الموارنة من جور الحكّام والجراد الذي أتى على مزروعاتهم، **غادر موارنة عديدون ولاسيّما من بلاد جبيل إلى جزيرة قبرص**. وإذ عاني موارنة الجزيرة من أطماع اليونانيين بأملاك دير مار يوحنّا وأوقافهم، كتب البطريرك شمعون الحدثيّ إلى البابا لاوون العاشر بهذا الشأن، فكتب البابا إلى المسؤولين للمحافظة على أملاك الموارنة.[٣]

٢. في عهد هذا البطريرك تغلّب السلطان سليم الأوّل (١٥١٦-١٥٦٦) ملك القسطنطينيّة، على المماليك في معركة مرج دابق بقرب حلب سنة ١٥١٦، بمعاونة المعنيّين، فقدّم الأمير فخر الدين على كلّ الأمراء اللبنانيّين واعترف لسلالته بوراثة الإمارة في الشوف، وأقام على بلاد كسروان وجبيل الأمير عسّاف. تميّز السلطان سليم بكثرة حلمه، فأمر بإعمار البلاد بعد أن خرّبتها الحروب. فجاء المتاولة من بعلبك وسكنوا

(٢) المرجع نفسه، ص ١٧-٢٠، ٢٢-٢٦ **حياة ابن القلاعي ومؤلّفاته بإسهاب في بطاركة الموارنة وأساقفتهم من القرن ١٣ إلى ١٥**، ص ١١١-١٢٩.

(٣) **بطاركة الموارنة وأساقفتهم في القرن السادس عشر**، ص ١٩.

في فاريّا وحراجل وبقعاته، والسنّة من البقاع واستوطنوا فيطرون والقليعات وعرمون والجديدة وساحل علما وفتقا، والدروز من المتن والجرد وأقاموا في برمّانا ومزارع كسروان، والمسيحيّون من طرابلس والشمال وسكنوا في عرمون، وأهالي يانوح في كفور الفتوح وغزير، حسب ما أورد البطريرك اسطفان الدويهي في تاريخ الأزمنة.[٤]

٣. احتلّ العثمانيّون سوريا ولبنان وصولاً إلى مصر بقيادة السلطان سليم الأوّل، وقسّموا السلطنة إلى ثلاث دوائر كبرى: دمشق وحلب وطرابلس. عاملوا المسيحيّين كأهل ذمّة، وسمحوا لهم بممارسة معتقداتهم وإدارة شؤونهم وفقًا لقوانين الأحوال الشخصيّة مقابل أن يدفعوا الجزيّة أو ضريبة الرأس. لم يكن لهم حقّ المساواة بالمسلمين، فلا يلبسون مثلهم، ولا يركبون الخيل، ولا يتقلّدون السلاح، ولا تقبل شهادتهم لدى المحاكم العثمانيّة، ولا يحقّ لهم ترميم الكنائس والمعابد أو بناؤها إلاّ بإذن سلطانيّ. وأوجب العثمانيّون على البطاركة ورؤساء الطوائف طلب "الفرمان" أو "براءة التثبيت" من السلطان، لكي يتمكّنوا من ممارسة سلطتهم الدينيّة والمدنيّة.

غير أنّ السلطان سليم عفا البطريرك المارونيّ من طلب "الفرمان" خلافًا لبطاركة الشرق. وبفضله نعم جبل لبنان بنوع من الاستقلاليّة: فشؤونه العامّة كان يتولاّها أمير وطنيّ معروف "بالحاكم الكبير"، وسيادة الدولة العثمانيّة عليه كانت إسميّة، وسكّانه لم يدفعوا العُشر ولا الخراج ولا جزية الرأس، ولم يكونوا "أهل ذمّة" تحت حماية الدولة التركيّة، بل كانوا يحمون أنفسهم بأنفسهم، فلم يدفعوا إلاّ المال الأميريّ. لا يؤدّون الخدمة العسكريّة خارج

(٤) (نشرة الأباتي بطرس فهد، سنة ١٩٧٦، ص ٣٩٢).

بلادهم، بل كانوا ينضوون تحت لواء جيشهم الوطنيّ. وكان أمير البلاد أو حاكمها يعترف بسلطة رؤساء الدين ورتبهم. ونعم الاكليروس المارونيّ ببعض الامتيازات، منها الحماية الفرنسيّة برضى الباب العالي، بسبب مذهبهم الكاثوليكيّ، مثل الاكليروس اللاتينيّ.(٥)

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تعرض الخطّة الراعويّة **التطلّعات المستقبليّة** التي يرسمها المجمع البطريركيّ المارونيّ في نصّه التاسع "**العلمانيّون**"، فيطرح **رهانات حياتيّة** من نوع **التحدّيات المصيريّة وتوصيات** (الفقرات ٣١-٣٢).

١ . **الرهان- التحدّي الأوّل**، المحافظة على أصالة إيمانهم فيما هم ينخرطون في قطاعات العمل ومجالاة الحياة.

الثاني، الانفتاح والتعاون مع الآخرين على أساس ثوابتهم من دون إضاعة هويّتهم.

الثالث، اكتساب العلوم والمعارف ومواكبة التطوّر العلميّ والتكنولوجيّ مع المحافظة على قيمهم الروحيّة والخلقيّة.

٢ . **أمّا التوصيّات المجمعيّة فهي:**

أ- إغناء هويّة العلمانيين ودعوتهم ورسالتهم بما جاء في تعليم المجمع الفاتيكانيّ الثاني وفي الإرشاد الرسوليّ "رجاء جديد للبنان".

ب- إصدار إرشاد رعائيّ عامّ بشأن مشاركة العلمانيّين في حياة الكنيسة ورسالتها يشمل: مشاركتهم في البنى الكنسيّة من مجالس رعويّة

---

(٥) الأب فرنسوا عقل: **أضواء على العلاقات السياسيّة والقانونيّة بين البطريركيّة المارونيّة والدولة اللبنانيّة**، ص ٤١-٤٧، منشورات جامعة سيّدة اللويزة.

وهيئات ولجان تختصّ بالعمل الراعويّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ والليتورجيّ؛ مساهمتهم في خدمة الكلمة والنعمة والمحبّة؛ شهادة حياتهم المسيحيّة في العائلة والرعيّة والمجتمع؛ آليّة إشراكهم في اتّخاذ القرارات على مستوى الرعيّة والأبرشيّة؛ مشاركة المرأة على هذا المستوى في مختلف الخدمات والقطاعات.

ج- تعزيز انتشار الأخويّات والحركات الرسوليّة، وإرشادها، وتثمير طاقاتها في حياة الرعيّة والأبرشيّة مع المحافظة على خصوصيّة كلّ واحدة منها والتنسيق فيما بينها، بالتعاون مع اللجنة الأسقفيّة لرسالة العلمانيّين.

د- إعداد برامج تنشئة على مفهوم القيادة والتدريب على المهارات، والعيش بموجب تعليم الكنيسة الاجتماعيّ.

ه- تأسيس راعويّة مهنيّة للعلمانيّين وفقًا لمهنتهم تشمل التثقيف على المبادئ، وتعزيز مبادرات تضامن وتنمية.

و- تشجيع المنظّمات الطلاّبيّة المسيحيّة لاجتذاب المراهقين، ومواجهة التيّارات الماديّة التي تتهدّد الشبيبة.

ز- إيجاد آليّة لجمع الشباب المارونيّ في بلدان الانتشار للتعارف وتبادل الخبرات وتعزيز روح الانتماء، مثل: لقاءات دوريّة، مخيّمات صيفيّة، لقاء عالميّ للشباب أو مبادرات أخرى مماثلة.

***

صلاة

يا ربّ، نسألك نعمة الشعور، مثل بولس الرسول، بائتمانك إيّانا على بشارة الانجيل، لننقلها بمسؤوليّة وأمانة وصدق، غير آبهين بصعوبات

الرفض أو عدم الاكتراث. فحقيقة الانجيل من شأنها أن تنير وتوحّد وتحرّر. في عالم النسبيّة والاعتداد بالنفس، يبقى الانجيل المرجعيّة الأكيدة للحقيقة. أعطنا أن نصغي إلى كلامك الحيّ قبل القيام بأيّ عمل ليأتي وفق إرادتك. قوِّ بروحك القدّوس العلمانيّين المؤمنين العائشين وسط العالم ليضعوا مواهبهم في خدمة الكنيسة ورسالتها، وليعملوا على تغيير المجتمع من الداخل، مثل الخميرة في العجين. ونرفع المجد والشكر للآب والابن والروح القدس الآن وإلى الأبد، آمين.

الأحد الخامس عشر من زمن العنصرة

أسس الجماعة المسيحيّة: اختيار وفداء وإنجيل

من رسالة القدّيس بولس الرسول: ١ تسالونيكي ١/١-١٠

يا إخوَتِي، مِنْ بُولُسَ وسِلْوانُسَ وطِيمُوتَاوُسَ إِلى كَنِيسَةِ التَّسَالُونِيكيِّينَ الَّتِي في اللهِ الآبِ والرَّبِّ يَسُوعَ المَسيح: أَلنِّعْمَةُ لَكُم والسَّلام! نَشْكُرُ اللهَ دائِمًا مِنْ أَجْلِكُم جَمِيعًا، ونَذْكُرُكُم في صَلَواتِنَا بِغَيْرِ انْقِطاع. ونَتَذَكَّرُ في حَضْرَةِ إِلهِنَا وأَبِينَا عَمَلَ إِيْمَانِكُم، وتَعَبَ مَحَبَّتِكُم، وثَبَاتَ رَجَائِكُم، كَمَا في رَبِّنَا يَسُوعَ المَسِيح. ونَعْلَم، أَيُّهَا الإِخْوَة، أَحِبَّاءُ الله، أَنَّ اللهَ اخْتَارَكُم؛ لأَنَّ إِنْجِيلَنَا لَمْ يَصِرْ إِلَيْكُم بِالكَلامِ وحَسْب، بَلْ أَيضًا بِالقُوَّةِ وبِالرُّوحِ القُدُسِ وَبِمِلْءِ اليَقِين، وأَنتُم تَعْلَمُونَ كَيْفَ كُنَّا بَيْنَكُم مِن أَجْلِكُم. فَقَدْ صِرْتُم تَقْتَدُونَ بِنَا وبِالرَّبّ، إِذ قَبِلْتُمُ الكَلِمَة، في وَسَطِ ضِيقَاتٍ كَثِيرة، بِفَرَحِ الرُّوحِ القُدُس، حَتَّى صِرْتُم مِثَالاً لِجَمِيعِ المُؤْمِنِينَ في مَقْدُونِيَةَ وأَخَائِيَة؛ لأَنَّهَا مِنْكُم ذَاعَتْ كَلِمَةُ الرَّبّ، لا في مَقْدُونِيَةَ وأَخَائِيَةَ وحَسْب، بَلْ في كُلِّ مَكَانٍ انْتَشَرَ إِيْمَانُكُم بِالله، حتَّى لَمْ يَعُدْ بِنَا حَاجَةٌ إِلى أَنْ نَقُولَ في ذلِكَ شَيْئًا. فَهُم أَنْفُسُهُم يُخْبِرُونَ عَنَّا كَيْفَ كَانَ دُخُولُنَا إِلَيْكُم، وكَيْفَ رَجَعْتُم عَنِ الأَوْثَانِ إِلى الله، لِكَي تَعْبُدُوا اللهَ الحَيَّ الحَقّ، وتَنْتَظِرُوا مِنَ السَّمَاواتِ ابْنَهُ، الَّذي أَقَامَهُ مِنْ بَينِ الأَمْوَات، يَسُوع، مُنَجِّينَا مِنَ الغَضَبِ الآتِي.

***

رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي هي أوّل رسالة له، وأقدم ما كُتب من العهد الجديد. كتبها عندما وافاه طيموتاوس حاملاً إليه أخبارهم. تعابير الرسالة أشبه بكلام عطف ومودّة يخاطب بها الأب أولاده.

في رسالة هذا الأحد شكر لله وتهنئة للجماعة المسيحيّة في تسالونيكي، التي يدعوها "كنيسة"، على اعتناقها الايمان المسيحيّ، وعلى انتشار كلمة الله في المناطق المجاورة. وفيها رجاء انتظار يسوع المسيح القائم من الموت.

■ أوّلاً، شرح نصّ الرسالة وربطه بتعليم الانجيل

١. ملامح الكنيسة

الوجه الأوّل: جماعة إيمان ورجاء ومحبّة

يسمّي الرسول جماعة المسيحيّين في تسالونيكي "كنيسة" (١/١) بالمعنى البيبليّ منذ العهد القديم، وهي من أصل "جمع". إنّها الجماعة التي دعاها الله وجمعها. الكنيسة هي جماعة المدعوّين للخلاص: دعاهم الله الآب بابنه المتأنّس يسوع المسيح، وجمعهم برباط الروح القدس، ليكونوا **"جماعة نشاط الايمان وثبات الرجاء وجهود المحبّة"** (١/٣).

بالايمان، نؤمن بالله، ونؤمن بكلّ ما أوحاه، وبكلّ ما تقدّمه لنا الكنيسة لنؤمن به. **بالرجاء**، ننتظر بشوق من الله، وبثقة ثابتة، الحياة الألهيّة والنعم التي تؤهّلنا لنستحقّها. **وبالمحبّة**، نحبّ الله فوق كلّ شيء، ونحبّ قريبنا كنفسنا وحبًّا بالله. المحبّة هي "رباط الكمال"، وتعطي شكلاً لكلّ الفضائل (كتاب التعليم المسيحيّ، ١٨١٤-١٨٤٤).

هذه الثلاث تُسمّى **"فضائل إلهيّة"** لأنّ الله يهبها لكلّ نفس، ولأنّها مرتبطة

به مباشرة. إنّها تؤهّل المسيحيّ ليعيش بعلاقة مع الله الثالوث، الذي هو أصله وسبب وجوده وغايته.

الوجه الثاني: كنيسة مختارة ومفتداة

بقوّة هذه الفضائل "يجمع الله المؤمنين ليكوّنوا الكنيسة".

إنّ لفظة "كنيسة"، سواء باليونانيّة "Ekklésia" أم بالسريانيّة "كنوشتو"، تعني "جماعة" من فعل جَمَعَ.

أهل تسالونيكي هم هؤلاء الذين **جمعهم الله** فصاروا **كنيسته**. ويؤكّد أنّه **اختارهم** قبل أن يجمعهم. يسمّيهم بولس "أحبّاء الله" الذين هم من المختارين (١/٤). هذا الاختيار والجمع تمّا بفضل بشارة الانجيل التي قبلوها كلمة من الله وباليقين التامّ، وبعمل الفداء الإلهيّ الذي نالوا ثماره، وبقوّة الروح القدس (١/٥/٦).

الوجه الثالث: كنيسة تحمل بشرى الانجيل

هؤلاء المؤمنون صاروا قدوة ومثالاً في الإيمان للجميع، وأصبحوا رسل كلمة الربّ، التي شاعت على أيديهم في كلّ المنطقة (١/٨) المؤمنون، أبناء الكنيسة، هم الذين يؤدّون شهادة الحياة ويعلنون حقيقة الانجيل. إنّ نقل الانجيل يتمّ بواسطة الكلمة وشهادة الحياة (الدستور العاقئديّ، في الكنيسة، ٣٥). إذا كانت الكلمة على نقيض مع المسلك، فإنّها تُقبل بصعوبة. شهادة الحياة وحدها لا تكفي ما لم يرافقها إعلان واضح وغير ملتبس لسرّ المسيح الربّ (البابا بولس السادس: واجب إعلان الانجيل، ٢٢). من الاعلان والشهادة تشعّ الحقيقة على جميع الناس، وهي حقيقة تخلّص وتضع حريّة الانسان في سعي دائم إلى الخير. فتبلغ الحريّة ملئها وتنال كرامتها وتحظى بالاحترام.

ولهذا أرسل الربّ يسوع الكنيسة لتعلن الانجيل للخليقة كلّها، لكي يبلغ جميع الناس إلى الحقيقة والخير، فلا يهلكون (مر ١٦/١٥-١٧).

٢. المرأة الخاطئة وقارورة الطيب (لوقا ٧/٣٦-٥٠)

سمعت المرأة الخاطئة كرازة يسوع ورأت أعماله، فشاهدت الحقيقة، وبضوئها أدركت أنّ حياتها بعيدة عنها ومسيئة لها، فندمت وقرّرت السير في طريق الحقيقة والخير. وإذ علمت أنّه في بيت سمعان الفرّيسيّ، تشجّعت ودخلت البيت. وبصلاة صامتة وبمبادرة مميّزة عبّرت عن توبتها. مسحت دموعها عن رجلي يسوع بشعرها لانسحاق قلبها وقرار التغيير. الطيب الذي دهنت به رجليه تعبير عن حبّها الذي لا يوازيه حبٌّ لغيره، وعن شكرها المسبق على الغفران الذي ستناله من محبّته العظمى.

شرح يسوع لسمعان، مع شيء من العتاب، معنى ما فعلت تلك المرأة وأبعاده: لقد أحبّت كثيرًا ولهذا غُفرت خطاياها الكثيرة. التوبة إلى الله والعودة عن الخطيئة والخطأ فعل حبّ كبير. لا يتوب حقًّا إلاّ الذي يحبّ الله، وبالتالي الحقيقة والخير. ولا يغفر من كلّ القلب إلاّ الذي يحبّ حقًّا.

أمّا عتاب يسوع لسمعان فهو أنّه أحبَّ يسوع قليلاً. فلا يكفي أن يستضيفه في بيته ويولم له ويدعو أصدقاء. هذا حبٌّ خارجيّ. فلو أحبَّ يسوع من كلّ القلب، لكان تغيّر من الداخل، وتاب عن خطاياه، كما فعل زكّا العشّار يوم دخل يسوع بيته (لو ١٩/٨).

والعتاب نفسه موجّه بطريقة غير مناسبة إلى المدعوّين الذين تذمّروا وقال: "الله وحده يغفر الخطايا"، عندما قال للمرأة: "إيمانك أحياكِ، إذهبي بسلام؟"

التوبة عن الخطايا والتماس الغفران من الله فعل إيمان وحبّ. أمّا

الغفران فلنلتمسه من الله على يد الكاهن المعطى السلطان الإلهيّ لمغفرة الخطايا باسم الله الثالوث.

■ ثانيًا، البطريركيّة المارونيّة ولبنان

عهد العثمانيين (١٥١٦-١٩١٨): الحقبة ما بين ١٥٢٤-١٥٦٧

١. بعد البطريرك سمعان أو شمعون الحدثي (١٤٩٢-١٥٢٤) الذي دامت رئاسته ٣٢ سنة، انتخب **البطريرك موسى العكّاري** (١٥٢٤-١٥٦٧) من قرية الباردة في عكّار. كان عمره ٤٢ سنة وهو في الأصل راهب في دير سيّدة حوقا (شماليّ لبنان)، ورقّي إلى الأسقفيّة سنة ١٥٢٢. دامت رئاسته ٤٣ سنة وكانت غنيّة بالمآثر. عايش ستّة بابوات وراسلهم وراسلوه، وهم: إكليمنضوص السابع (١٥٢٣-١٥٣٤). وبولس الثالث (١٥٣٤-١٥٤٩) ويوليوس الثالث (١٥٥٠-١٥٥٥) وبولس الرابع (١٥٥٥-١٥٥٩) وبيّوس الرابع (١٥٥٩-١٥٦٥) فبيّوس الخامس (١٥٦٦-١٥٧٢).[١]

٢. في رسائله ركّز البطريرك موسى على الاضطهاد الذي يلقاه الموارنة من غير الكاثوليك والظلم من غير المؤمنين بسبب خضوعهم لكرسيّ روما والجالس عليه، وطلب زائرين رسوليين وستّة رهبان فرنسيسكان من الأراضي المقدّسة للتثقيف والتعليم في جبل لبنان، وغفرانات. وكان البطريرك موسى يردّد في رسائله: "نحن كاثوليك حقيقيّون، ممارسون، خاضعون تمامًا لأمّنا الكنيسة المقدّسة". أمّا أجوبة البابوات فكانت تثني على إيمان الموارنة وتمسّكهم بالأمانة لكرسيّ بطرس وتلبّي مطالب

---

(١) أنظر بشأن المراسلات الأباتي بطرس فهد: **بطاركة الموارنة وأساقفتهم في القرن السادس عشر**، ص ٦-٧.

البطريرك وتذكّر بشؤون عقائديّة وليتورجيّة وتهذيبيّة[٢]. وكان البابوات يرسلون للبطريرك بدلات طقسيّة مع توابعها.

٣. وكتب البطريرك موسى في ٢ شباط ١٥٦٤ إلى البابا بيّوس الرابع يلتمس وساطته لدى الإيطاليّين البنادقة (من البندقية- venezia) الذين تملّكوا جزيرة قبرص للضغط على اليونان من أجل رفع ظلامتهم عن موارنة قبرص: "فإنّهم يتصرّفون كأسياد عليهم، ويبالغون بالبغض لنا لأنّنا نقدّس مثل اللاتين، ونخضع مباشرة للحبر الرومانيّ ولأسباب أخرى".

٤. وكانت للبطريرك اتصالات بالحكّام الزمنيّين لصالح الموارنة وجبل لبنان. ففي سنة ١٥٢٧ **كتب إلى الإمبراطور الألمانيّ شارل كان** يدعوه للمساعدة في نيل الاستقلال وانتزاعه من أيدي العثمانيّين، وأكّد له إمكانيّة إرسال خمسين ألف من الرماة المدرّبين أحسن تدريب للمساعدة في الحرب الاستقلاليّة[٣]، نظرًا لما للإمبراطور من تقدير لشخص البطريرك، أهداه بدلة جميلة لخدمة الأسرار الإلهيّة.

وفي سنة ١٥٥٠ أرسل البطريرك موسى موفدًا إلى حلب لمقابلة **السلطان سليمان خان الغازي** للتخفيف من جباية الأموال التي أصبحت مرهقة على دير قنّوبين. فأنفذ السلطان أمرًا همايونيًّا إلى قاضي طرابلس في سنة ١٥٥٣ للنظر في الأمور، ولكي لا يسمح لأحد بأن يتعرّض للبطريرك المارونيّ بشيء البتّة، ولكي يسهر على أن تبقى

(٢) أنظر مثلاً رسالة البطريرك إلى البابا بولس الثالث وجواب البابا في سنة ١٥٤٢ (المرجع نفسه).

(٣) أنظر الرسالة في المرجع نفسه، ص ٤٨-٤٩.

حقوق الطائفة المارونيّة مرعيّة بنوع خاصّ، وأن يعاقب بشدّة من يتجاسر على مخالفة هذا الأمر.

وفي سنة ١٥٦٤ حصل البطريرك موسى على أمر من **والي دمشق مصطفى باشا** إلى قاضي القدس ليسمع دعوى البطريرك بشأن رفع يد الأقباط عن كنيسة مار جرجس التي استولوا عليها سنة ١٥٦١. وكان البطريرك قد سافر إلى القدس الشريف في السنة نفسها لهذه الغاية.

٥. في عهده **كان نزوح وانتشار للموارنة** إنطلاقًا من بلدة جاج: فتوجّه آل الخازن إلى عجلتون، وآل الجميّل إلى بكفيا، وآل كميد إلى غزير، لأنّ الأمير منصور كان قد وطّد الأمن والعدالة في منطقته. كما نزح الموارنة الفلاّحون من الشمال إلى الجنوب، فانتشرت الزراعة في الجبال والقرى. تحالف الموارنة والدروز في الشوف والمتن لمحاربة الفساد المستشري لدى باشوات الباب العالي، ولحصر ولايتهم على بعض المدن الساحليّة من لبنان.

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تتناول الخطّة الراعويّة من النصّ المجمعيّ التاسع: "**العلمانيّون، استراتيجيّة العمل،** كما يعرضها الفصل الرابع، تطلّعات مستقبليّة". تشمل هذه الاستراتيجيّة تنشئة العلمانيّين (الفقرة ٣٣)، ومشاركتهم في الرسالة والقرار الكنسيّين (الفقرة ٣٤) ودور المجالس العلمانيّة الرسوليّة (الفقرة ٣٥).

١. تنشئة العلمانيّين (فقرة ٣٣).

تنشئتهم **ملحّة وأساسيّة** ولا يمكن تركها للعفويّة المطلقة. فهي تعدّهم لتلبية دعوتهم المسيحيّة والقيام برسالتهم، ما يشكّل أملاً كبيرًا للمستقبل.

تهدف التنشئة إلى النموّ في الايمان والتجدّد الداخليّ وتفعيل مواهب الروح القدس التي يوزّعها لخير الكنيسة، جسد المسيح السرّيّ. **تقع مسؤوليّة التنشئة** على مطران الأبرشيّة وكاهن الرعيّة بالدرجة الأولى. **وتتوفّر بواسطة** مراكز التثقيف الدينيّ ووسائل الإعلام المسيحيّة والأخويّات والمنظّمات والحركات الرسوليّة، ولقاءات منظّمة على مستوى كلّ رعيّة، فضلاً عن الكرازة والتعليم المسيحيّ في المدارس.

تعتمد التنشئة **أربعة سبل أساسيّة**: الاصغاء الواعي لكلمة الله وتعليم الكنيسة، الصلاة الفرديّة والجماعيّة، الإرشاد الروحيّ، التمييز الروحيّ.

تنفتح التنشئة على العقيدة المسيحيّة والبُعد الرسوليّ والرساليّ للحضور المسيحيّ في الشرق والعالم العربيّ، وعلى الشركة مع الكنائس الكاثوليكيّة، والتعاون المسكونيّ مع الكنائس الأرثوذكسيّة والبروتستنتيّة، وعلى حوار الحياة مع المسلمين وأتباع الديانات الأخرى.

٢. مشاركة العلمانيّين في الرسالة والقرار الكنسيين (فقرة ٣٤).

تقتضي هذه المشاركة تثمير طاقات العلمانيّين وغناهم الروحيّ ومؤهّلاتهم الفرديّة، ليكونوا في بناء الكنيسة "حجارة حيّة" للعمل معًا. **وتتحقّق** من خلال المجالس الراعويّة على مستوى الأبرشيّة وكلّ رعيّة، واللجان المنبثقة منها.

٣. دور المجالس العلمانيّة الرسوليّة (فقرة ٣٥)

تعنى هذه المجالس برسم خطّة شاملة للأخويّات والمنظّمات والحركات الرسوليّة، لتوعية أفرادها وسائر المؤمنين العلمانيّين على فهم هويّتهم وتلبية دعوتهم وأداء رسالتهم، وتنسيق العمل على قاعدة التعدّديّة في الوحدة.

هذه المجالس تنسّق عملها مع المجلس الرسوليّ العلمانيّ، المنبثق من اللجنة الأسقفيّة لرسالة العلمانيّين، وتعمل وفقًا لتوجيهاته.

نختتم هذا القسم الثالث من التنشئة المسيحيّة بكلمات المجمع البطريركيّ المارونيّ: إنّنا بشجاعة الرجاء نسير معًا نحو المستقبل، وعقولنا وقلوبنا منفتحة على عمل الروح القدس الحيّ والمحيي، لندخل في ديناميّة التجدّد الشخصيّ والجماعيّ. فالمسيح أتى ويأتي ليجعل كلّ شيء جديدًا (رؤيا ٢١/٥).

***

صلاة

نشكرك أيّها الربّ يسوع لأنّك أحببتنا واخترتنا وجمعتنا بكلمة الانجيل، وافتديتنا بدمك الثمين، وأحييتنا بروحك القدّوس، وجعلتنا كنيسة الايمان والرجاء والمحبّة. إنّنا نلتزم بالشهادة لك في حياتنا، وبإعلان إنجيل الحقيقة والمحبّة والحياة لجميع الناس. إفتح قلوبنا على محبّتك لنعود إليك بالتوبة مثل المرأة الخاطئة في بيت سمعان. إنّنا نصلّي من أجل المؤمنين المسيحيّين العائشين في العالم، لكي يدركوا دعوتهم ورسالتهم في الكنيسة والعالم، وينالوا التنشئة اللازمة التي تمكّنهم من تلبية الدعوة والقيام بالرسالة، فنسير جميعنا نحو مستقبل أفضل يتجدّد بالمسيح. ونرفع المجد والشكر للآب والابن والروح القدس، الآن وإلى الأبد.

الأحد السادس عشر من زمن العنصرة

السعي إلى مجد حريّة أبناء الله

من رسالة القدّيس بولس الرسول: روم ٨/١٨-٢٢.

يا إخوَتِي، وإنِّي أَحْسَبُ أَنَّ آلامَ الوَقْتِ الحَاضِرِ لا تُوَازي المَجْدَ الَّذي سَوْفَ يتَجَلَّى فينَا. فإنَّ الخَليقةَ تَنْتَظِرُ بفَارِغِ الصَّبْرِ تَجَلِّيَ أَبْنَاءِ الله؛ لأَنَّ الخَليقةَ أُخْضِعَتْ لِلبَاطِلِ، لا طَوْعًا، بَل "بِسُلْطَانِ اللهِ الَّذي أَخْضَعَهَا"، ولكِنْ عَلى رَجَاءِ أَنَّ الخَليقةَ نَفْسَهَا سَتُحَرَّرُ هيَ أَيْضًا مِنْ عُبُودِيَّةِ الفَسَادِ إلى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلادِ الله. ونَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الخَليقَةَ كُلَّهَا مَعًا تَئِنُّ وتَتَمَخَّضُ إلى الآن. ولكِنْ لا هيَ فَحَسْب، بَلْ نَحْنُ أَيْضًا الَّذينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوح، نَحْنُ أَيْضًا نَئِنُّ في أَنْفُسِنَا، مُنْتَظِرينَ التَّبَنِّيَ أَيْ فِدَاءَ جَسَدِنَا. فإنَّنَا بالرَّجَاءِ خُلِّصْنَا. والرَّجَاءُ الَّذي يُرَى لَيْسَ رَجَاء. فهَلْ يَرْجُو أَحَدٌ مَا يَرَاه؟ أَمَّا إذَا كُنَّا نَرْجُو مَا لا نَرَاه، فَبالصَّبْرِ نَنْتَظِرُهُ. وهكَذَا فَالرُّوحُ نَفْسُهُ يَعْضُدُنَا في ضُعْفِنَا، لأَ{نَّنَا لا نَعْرِفُ أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا يَنْبَغِي، لكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ لَنَا بأَنَّاتٍ لا تُوصَف. والَّذي يَفْحَصُ القُلُوبَ يَعْرِفُ رَغْبَةَ الرُّوح، وهيَ أَنَّهُ يَشْفَعُ لِلقِدِّيسِينَ بِمَا يُوَافِقُ مَشِيئَةَ الله.

***

كتب بولس الرسول إلى أهل رومة بين السنتين ٥٧ و٥٨ من كورنتس،

وهو لم يكن يعرف الجماعة المسيحيّة فيها معرفة مباشرة، لأنّه لم يزر رومة من قبل. بل كان يتشوّق إلى زيارة الكنيسة هناك، على ما يقول في مطلع الرسالة: "أنّني كثيرًا ما قصدت الذهاب إليكم، فحيل بيني وبينكم إلى اليوم" (روم ١/١٣).

إنّها أهمّ رسائل بولس الرسول، وأطولها وأغناها من جهة العقيدة، وكثيرًا ما اعتُبرت بحثًا ومؤلّفًا عقائديًّا في صيغة رسالة مفتوحة.

نصّ القراءة لهذا الأحد هو من شفاه الانسان بالمسيح من شقاه الانسانيّ، إذ حرّره الروح القدس وأشركه بمجد المسيح وبحياته الإلهيّة، بعدها قام من بين الأموات.

■ أوّلاً، شرح نصّ الرسالة وربطه بنصّ الانجيل

١ . مشاركون المسيح في الآلام، إذًا مشاركون في مجد القيامة

إنّ مدخل نصّ الرسالة يبدأ بقول الرسول بولس: "إن شاركنا المسيح حقًّا في آلامه، نشاركه أيضًا في مجده" (روم ٨/١٧). ولذلك "آلام الوقت الحاضر لا توازي المجد الذي سوف يتجلّى فينا" (٨/١٨). يعطي بولس لهذا التأكيد شهادات:

شهادة الخليقة، الخاضعة أصلاً للفساد، بينما هي تنتظر بفارغ الصبر تجلّي مجدها في البنوّة لله، وقد تحرّرت من عبوديّة الفساد بحريّة أبناء الله. إنّها في حالة مخاض دائم من أجل هذه الولادة الجديدة (٨/٩-٢٢). لا تستطيع الخليقة لوحدها أن تبلغ هدفها. لذلك تئنّ وتتمخّض لتخرج من فوضاها وتستعيد بهاءها الذي أوجدها فيه الخالق قبل الخطيئة.

شهادة الروح القدس الذي يعضدها ويصلّي فينا ويشفع لنا لننال ما

يوافق مشيئة الله (٨/٢٦-٢٧). إنّ الروح يصلّي فينا لأنّه روح البنوّة الذي أُعطيناه، وبه نصرخ بدالّة وبدون خوف: أبّا، أيّها الآب" (٨/١٥). والروح يشفع لنا بأناتٍ لا توصف "أي بما شاهده بولس يوم خطف إلى الفردوس، وسمع أقوالاً تعلو الوصف، ولا يجوز إنسان أن ينطق بها" (٢ كور ١٢/٤).

٢. تجلّي المجد محبّة ورجاء فمشاهدة سعيدة

إنّ تجلّي مجد الله فينا **يبدأ في هذه الدنيا** بمحبّة الله التي تمكّننا من حفظ وصاياه وسماع كلامه والتجدّد بنعمة أسرار الخلاص. والمحبّة تثبّت **بالرجاء** الذي يقوى على اليأس ويحرّر من الادّعاء.

فباليأس ينقطع الانسان عن أن يرجو خلاصه الشخصيّ من عند الله، ومساعدته للبلوغ إليه أو غفران خطاياه. إنّ اليأس منافٍ لجودة الله ولعدله، لأنّه أمين في وعده ولرحمته. **وبالادّعاء**، يتّكل الانسان على قواه الشخصيّة وحدها، مدّعيًا أنّه قادر على خلاص نفسه من دون مساعدة إلهيّة، أو يفترض أنّ الله يخلّصه بقدرته ويغفر له من دون أن يتوب هو عن خطاياه الشخصيّة، ويظنّ أنّه ينال المجد من دون أيّ استحقاق (كتاب التعليم المسيحيّ، ٢٠٩٠).

ومجد الله الذي يبدأ في هذه الدنيا **يكتمل بعد الموت بمشاهدة الله السعيدة**، التي يقول عنها بولس الرسول في مكان آخر: "لم تر عين، ولم يخطر على بال أحد، ولم تسمع به أذن، ما أعدّه الله لمحبّيه".

٣. الرجاء والادّعاء في مثل الفرّيسيّ والعشّار (لوقا ١٨/٩-١٤).

الفرّيسيّ هو **رجل الادّعاء** الذي يبرّر نفسه بنفسه، وصلاته فقط للتباهي وتمجيد الذات، لا لالتماس معونة الله والاستغفار. إنّه يغشّ نفسه، ولا يرى ذاته خادمًا لله، بل يمتدح نفسه وكأنّه محسن على الله بصيامه وأداء العشر. ولهذا يحتقر العشّار، جابي الضرائب.

أمّا العشّار فهو **رجل الرجاء** الذي يشعر بأنّه خاطىء أمام الله. ولا يعتبر نفسه مستاهلاً أيّ شيء بسبب ما فعل. صلاته انسحاق قلب واستغفار: "اللهمّ، ارحمني، أنا الخاطئ". هي روح الطفولة المطلوبة في الانجيل التي تحتاج إلى مساعدة من الله، وروح التواضع الذي يرفع القلب إلى الله، ويقف بالذات أمامه، فيدرك الانسان عظمة الله من جهة، وحقارة نفسه من جهة ثانية.

كانت النتيجة في كلام المسيح "**أنّ الفرّيسيّ المحافظ على الشريعة** عاد إلى بيته من الصلاة في الحالة التي كان فيها سابقًا من دون أيّ تغيير في داخله، أمّا **العشّار الخاطئ** فعاد مبرّرًا بسبب توبته وتجدّده من عبوديّة الفساد إلى حريّة مجد أبناء الله" (روم ٨/٢١)، بينما **الفرّيسيّ** ظلّ خاضعًا لعبوديّة الفساد.

وأعلن الربّ يسوع أنّ التواضع هو القاعدة للصلاة أمام الله والتوبة إليه: **"كلّ من يرفع نفسه يُواضع، ومن يواضع نفسه يُرفع"** (لو ١٨/١٤). التواضع أساس الصلاة، ويهيّء النفس لقبول عطيّة الله المجّانيّة. يقول القدّيس أغسطينوس: "الانسان المصلّي هو شحاّذ الله". **والتواضع باب التوبة**، لأنّ المتواضع يرى ضعفه وخطيئته ويقرّ بهما، أمّا المتكبّر فلا. **والتواضع استعداد النفس** الدائم للبحث باخلاص عن إرادة الله.

والقاعدة الثانية أعلنها بولس الرسول: "أمّا أنتَ، فلماذا تَدين أخاك؟ وأنت، لماذا تحتقر أخاك؟ فجميعنا سنقف أمام منبر الله! لأنّه مكتوب: حيّ أنا، يقول الربّ، لي تجثو كلّ ركبة، ويعترف كلّ لسان! إذًا فكلّ واحد منّا سيؤدّي لله حسابًا عن نفسه!" (روم ١٤/١٠-١٢).

■ ثانيًا، البطريركيّة المارونيّة ولبنان

عهد العثمانيّين (١٥١٦-١٩١٨): الحقبة ما بين ١٥٦٧-١٥٨٠

عهد البطريرك مخايل الرزّي (١٥٦٧-١٥٨٠)

البطريرك مخايل الرزّي كان حبيسًا في محبسة دير مار أنطونيوس قزحيًا، وقد اعتزل رئاسة الدير وعاش في المحبسة منذ سنة ١٥٥٦. فانتخبه الأساقفة بطريركًا رغمًا عنه بإجماع الكلمة سنة ١٥٦٧، لما تميّز به من روح طيّبة وقداسة وتجرّد واندفاع في عمل الخير. وكان مشهورًا بفنّ الخطّ، وله مخطوط عن أعمال الرسل ورسائل القدّيس بولس محفوظ في مكتبة حلب المارونيّة.

أهمّ ما امتازت به بطريركيّته[1]:

١. **الصبر على مظالم الأتراك العثمانيّين واضطهاداتهم**، وقد احتلّ عساكرهم الكرسيّ البطريركيّ في قنّوبين فور انتخابه، ونهبوه واستولوا على مواشيه وأملاكه، وعلى الأواني المقدّسة. فأرضاهم البطريرك بشيء من المال وردّ أملاك الكرسيّ. لكنّ ظلمهم رافقه طوال مدّة حبريّته التي دامت ٢٣ سنة.

٢. **علاقته مع الكرسيّ الرسوليّ الرومانيّ**، الذي تبادل معه الرسائل المختصّة بعقيدة الموارنة الكاثوليكيّة وتكريس الميرون وأسرار المعموديّة والتثبيت والقربان ودرجات القرابة الدمويّة والأهليّة المبطلة للزواج. وبذلك رفع التهم المزوّرة بحقّ الموارنة من جهة اليعاقبة. وقد تزامن عهد بطريركيّته مع حبريّة البابا غريغوريوس الثالث عشر

(١) الأباتي بطرس فهد: **بطاركة الموارنة وأساقفتهم في القرن السادس عشر**، صفحة ٦١ ٦٤.

(١٥٧٢-١٥٨٥). تجدر الإشارة إلى براءة البابا المؤرّخة في ١٤ شباط ١٥٧٧، وجواب البطريرك في ١٤ نيسان ١٥٧٧ بشأن نقاط عقيدة الموارنة المنسجمة تمامًا مع تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة. وكانت رسائل أخرى مماثلة من البطريرك سنة ١٥٧٨ ومن الأساقفة الموارنة سنة ١٥٧٩. أجاب عليها البابا غريغوريوس ببراءة ١٨ أيلول ١٥٧٩.

٣. **قصادتان رسوليّتان** (١٥٧٨-١٥٧٩؛ ١٥٧٠-١٥٨٢) تمّتا بطلب ورضى وإلحاح البطريرك مخايل الرزّي، وترأّسهما الراهب اليسوعيّ الأب خوان باتيستا إليانو ثمّ الأب اليسوعيّ إيرونيموس دنديني. كانت الغاية منهما تسهيل الاتصالات بالكرسيّ الرسوليّ، وتثقيف الاكليروس المارونيّ، وتثبيت العقيدة المارونيّة ونشرها طباعة، وحلّ بعض المسائل التهذيبيّة والخلافيّة. فكانت النتيجة أنّ الموارنة حفظوا وديعة الايمان الكاثوليكيّ بين المنشقّين عن الكنيسة، وهم متحدون اتّحادًا وطيدًا بالكرسيّ الرسوليّ، ومجاهرون بمحبّتهم لخليفة بطرس ولمجمع الكرادلة، وصامدون بوجه الأتراك الذين يسودون عليهم في جبل لبنان ويضايقونهم فيه وفي جزيرة قبرس. وكان حاكمًا على جبلهم سيّد عربيّ ينتسب إلى مماليك مصر اسمه منصور.

بسبب التهم والتزوير ودسّ الشائعات واضطهاد الأتراك، لم تصل درع التثبيت إلى البطريرك مخايل الرزّي، الذي سبق وطلبها فور انتخابه من البابا بيّوس الخامس (١٥٦٦-١٥٧٢)، وجدّد طلبه باستمرار من خلفه البابا غريغوريوس الثالث عشر، إلاّ في سنة ١٥٨٠ قبيل وفاته. ففي ١٥ آب ١٥٨٠ بمناسبة عيد انتقال السيّدة العذراء بنفسها وجسدها إلى السماء، وهو عيد الكرسيّ البطريركيّ في قنّوبين، جرى الاحتفال

الكنسيّ المهيب بلبس درع التثبيت. وبعد شهر كانت وفاة البطريرك في ٢١ أيلول ١٥٨٠.

٤. **الطلب إلى البابا غريغوريوس الثالث عشر تاسيس مدرسة إكليريكيّة في روما** لتعليم الاكليريكيّين. لكنّ التأسيس تمّ بعد وفاة البطريرك مخايل الرزّي ببراءتين رسميّتين: الأولى في ٣١ كانون الثاني ١٥٨٢ خصّصت دارًا رومانيّة قديمة في قلب العاصمة منزلاً للموارنة، والثانية في ١٣ كانون الأوّل ١٥٨٣ جعلتها مع كنيستها ملكًا للطائفة المارونيّة، وأصبحت في سنة ١٥٨٤ مدرسة إكليريكيّة، أُوقفت لها أملاكٌ لتأمين مداخيلها وسدّ حاجاتها.

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تبدأ الخطّة الراعويّة اليوم بتقبّل النصّ المجمعيّ العاشر: "**العائلة المارونيّة**". يتّبع هذا النصّ المنهجيّة المجمعيّة إيّاها بمحطّاتها الثلاث: الهويّة أو العودة إلى الجذور، الحاضر وتجدّده، المستقبل ومواجهة تحدّياته.

١. **هويّة العائلة المارونيّة تتّسم أوّلاً بالايمان بالله**، ذلك أنّ العائلة المارونيّة نشأت حول الكنيسة والدير، وتمسّكت بالايمان المسيحيّ والخلقيّة التي يقتضيها، وشهدت بشجاعة لهويّتها الايمانيّة، متحدّية الأخطار الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والبيئيّة. وهكذا التزمت بالايمان وعاشت رسالتها (فقرة ١).

٢. **إنّ عناصر هذه الهويّة** هي التالية:

أ- **المشاركة في الحياة الليتورجيّة** بممارسة الواجب الدينيّ وحفظ

يوم الربّ والمشاركة في سائر الصلوات الليتورجيّة وفقًا للأعياد السيّديّة والمريميّة. فكم من العائلات تقدّست من خلال هذه المشاركة. رافقت الحياة الليتورجيّة العائلة في البيت حيث حملت صورها ورموزها، وفي الحقل والزراعة، حتّى سمّى المؤمنون السيّد المسيح "فلاّحًا ماهرًا" والسيّدة العذراء مريم "سيّدة الزروع" (الفقرة ٢).

ب- **تكريم العذراء مريم**، وقد ازدانت البيوت بصورها، وتحلّقت العائلة حول تلاوة مسبحتها، وأضاءت أمام أيقونتها الشموع، ورفعت البخور على ترنيمة "يا أمّ الله، يا حنونة... وإن كان جسمك بعيدًا عنّا، فصلواتك هي تصحبنا". واعتادت العائلة أن تكرّم السيّدة العذراء في شهر أيّار، ومسبحتها في شهر تشرين الأوّل. وإلى اليوم ما زال مؤمنون ومؤمنات يكرّمونها بالصوم في يوم ثابت من الأسبوع (الفقرة ٣).

ج- **جعل الرعيّة عائلة كبيرة**. كانت العائلات تلتقي في كنيسة الرعيّة كنقطة ارتكاز لحياة الجماعة ومحورها، وتؤلّف معًا عائلة كبيرة حول مائدة الربّ تقدّم لها قوّتها الذي يوحّدها: خبز الكلمة وذبيحة الفداء وخبز جسد الربّ ودمه. وهكذا تعيش كلّها في الوحدة والتضامن والتعاون (الفقرة ٤).

د- **عيش رسالة العائلة المسيحيّة** بإنجاب الأولاد "كبركة ونعمة" من الله، وتربيتهم وفقًا للتقاليد الروحيّة والاجتماعيّة والكنسيّة. تحمّلت العائلة بالصبر ما أصابها من محن ومشكلات وأزمات من الداخل ومن الخارج. شجّعت الأبناء والبنات على قبول الدعوة المقدّسة

إلى الحياة الكهنوتيّة والرهبانيّة. وأوقفت أملاكًا للعبادة وخدمة الفقراء، ولدعم الدعوات الاكليريكيّة والأعمال الخيريّة. وانفتحت على الحوار والتعاون في حالة العيش المشترك (الفقرات ٥-٧).

إنّ الجماعات التي تلتقي لتقبّل هذا النصّ المجمعيّ مدعوّة للالتزام في ميزات العائلة المارونيّة. وبذلك تلقى العائلات سعادتها، وتساهم في إعادة بناء العائلة الوطنيّة وترميمها في ما مزّقت الحروب والأحداث، وما شوّهته الانحرافات الخلقيّة، وما أيبسه الابتعاد عن الممارسة الدينيّة.

***

صلاة

لقد حرّرتنا أيّها المسيح بنعمة الفداء، لكي يتجلّى فينا مجد الله. فنعيش في هذه الدنيا شاهدين لمحبّتك، وننعم في الآخرة بمشاهدتك السعيدة. حرّرنا من الادّعاء، جمّلنا بفضيلة الرجاء، علّمنا التواضع لنصلّي ونتوب ونبحث عنك. بارك العائلة المسيحيّة لتظلّ أمينة لهويّتها المتّسمة بالايمان بالله، فينتقل هذا الايمان من جيل إلى جيل. لك المجد والشكر أيّها الآب والابن والروح القدس، الآن وإلى الأبد، آمين.

الأحـد السـابع عشر من زمن العنصرة

المحبّة جوهر المسلك المسيحيّ

من رسـالة القدّيس بولس الرسول: روم ١٣/٨-١٤

يا إخوَتِي، لا يَكُنْ عَلَيْكُم لأَحَدٍ دَيْنٌ إلاَّ حُبُّ بَعْضِكُم لِبَعْض. فَمَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ أَتَمَّ الشَّرِيعَة؛ لأَنَّ الوَصَايَا: "لا تَزْنِ! لا تَقْتُلْ! لا تَسْرِقْ! لا تَشْتَهِ!"، وأَيَّ وَصِيَّةٍ أُخْرَى، تَخْتَصِرُهَا هذِهِ الكَلِمَة: "أَحْبِبْ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ!" إنَّ المَحَبَّةَ لا تَصْنَعُ بالقَرِيبِ شَرًّا؛ إذًا فَالمَحَبَّةُ هِيَ كَمَالُ الشَّرِيعَة. وإنَّكُم لَعَالِمُونَ في أَيِّ وَقْتٍ نَحْن: لَقَدْ حَانَتِ السَّاعَةُ لِتَسْتَيْقِظُوا مِنَ النَّوْم! لأَنَّ الخَلاَصَ أَقْرَبُ إِلَيْنَا اليَوْمَ مِمَّا كَانَ يَوْمَ آمَنَّا. لَقَدْ تَنَاهَى اللَّيلُ واقْتَرَبَ النَّهَار. إذًا فَلْنَطْرَحْ أَعْمَالَ الظُّلْمَة، ونَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّور. وَلْنَسْلُكْ سُلُوكًا لائِقًا كَمَا في وَضَحِ النَّهَار، لا في القُصُوفِ والسُّكْر، ولا في الفُجُورِ وَالفَحْشَاء، ولا في الخِصَامِ والحَسَد، ولا تَهْتَمُّوا بِالجَسَدِ لِقَضَاءِ شَهَوَاتِهِ، بَلِ الْبَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ المَسِيح!

***

تُقسم رسالة القدّيس بولس إلى الرومانيّين إلى قسمين كبيرين: الأوّل عقائديّ (١-١١)، والثاني إرشاديّ أو تهذيبيّ (١٢-١٦). نصّ رسالة اليوم ينتمي إلى القسم التهذيبيّ، ويدعو إلى المحبّة المتبادلة التي هي جوهر

وصايا الله وكمال كلّ شريعة، كما يدعو إلى حياة اليقظة والتنبّه لأنّ المسيح آتٍ كلّ يوم في حياتنا.

■ أوّلاً، شرح نصّ الرسالة وربطه بنصّ الانجيل

١. المحبّة دين على المسلك المسيحيّ

المحبّة دين على المسيحيّ، لأنّه لبس المسيح يوم اقتبل المعموديّة، ونال هبة الروح بالميرون، واغتذى على مائدة الكلمة الإلهيّة وجسد الربّ ودمه. لقد أصبحت المحبّة جزءًا من جوهر الحياة المسيحيّة لا مجرّد شريعة نحافظ عليها أو نخالفها. ذلك أنّ سبب فدائنا بموت المسيح على الصليب كان المحبّة. ولذا، يتساءل بولس الرسول: "من يفصلنا عن محبّة المسيح؟ أضيق أم شدّة؟ أم اضطهاد أم جوع؟ أم عري أم خطر أم سيف؟" (روم ٨/٣٥). وبقوله في رسالة اليوم: "إلبسوا الربّ يسوع المسيح" (١٣/١٤)، إنّما يعني: إلبسوا المحبّة التي تعلّمتموها من المسيح. ولهذا قال: "لا يكن عليكم لأحد دين، إلاّ حبّ بعضكم لبعض".

ولأنّ الشريعة، كلّ شريعة، طريق إلى الله وإلى الانسان، لا عبء، أضاف الرسول: "فمن أحبَّ غيره أتمَّ الشريعة". وفي كلّ حال إنّ وصايا الله العشر تختصر وتكتمل بوصيّة واحدة: المحبّة. فالوصايا الثلاث الأولى تختصّ بمحبّة الله، والوصايا السبع الباقية تختصّ بمحبّة الانسان، بدءًا من الوالدين، وصولاً إلى كلّ إنسان، دونما تمييز، على أن تكون هذه الأخيرة تمامًا كما يحبّ الانسان نفسه (روم ٨/٩-١٠). إنّ محبّة الله والانسان يسمّيها كتاب التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة "الحياة في المسيح" التي تقتضي من المسيحيّ أن "يقتدي به، ويسلك في المحبّة كما المسيح أحبّنا، فبذل نفسه عنّا قربانًا وذبيحة للّه، طيّبًا ذكي الرائحة" (افسس ٥/١-٢)، وأن

"يكون فيه من الأفكار والكلمات والأفعال ما هو في المسيح" (فليبّي ٢/٥). فالربّ يسوع أوصانا نحن المسيحيّين "لقد أعطيتكم مثالاً، لتفعلوا أنتم أيضًا كما فعلت أنا لكم" (يو ١٣/١٥). (كتاب التعليم المسيحيّ، ١٠٩٤).

٢. المحبّة معيار لأخلاقيّة المسلك

المحبّة **خير** ونقيضها شرّ؛ وهي نور لحسن المسلك والتصرّف كمن يمشي في وضح النهار، ونقيضها **ظلمة** كمن يتخبّط في ظلام الليل. هذه صور يستعملها بولس الرسول في رسالته (١٣/١٢)، ليبيّن أنّ المحبّة هي المعيار لما هو خير ولما هو شرّ. **فالخير** هو المحبّة والحقيقة والوفاق والعطاء، أمّا الشرّ، نقيض المحبّة، فهو القصوف أي الأكل والشرب واللهو، والفجور، والفحشاء، والخصام والحسد (١٣/١٣). هذه الرذائل اختصرها يوحنّا الرسول بثلاثة: شهوة الجسد وشهوة العين وكبرياء الحياة (١ يو ٢/١٦). المحبّة كرامة ونقيضها خجل.

٣. مثل السامريّ الصالح أمثولة في المحبّة (لو ١٠/٢٥-٣٧).

روى يسوع مثل السامريّ لذاك العالم بالتوراة الذي سأله "من هو قريبي" لفهم الشريعة القائلة: "أحبب قريبك كنفسك" (لو ١٠/٢٧و٢٩). "القريب" في المسيحيّة ليس القريب بالنسب أو الجيرة أو الرأي أو اللون أو العرق أو الجنس، بل يصبح الانسان قريبًا للانسان عندما يعامله بالمحبّة والرحمة. هكذا كان جواب يسوع (لو ١٠/٣٧). وهذا هو الجواب على السؤال الأساسيّ: "ماذا أعمل لأرث الحياة الأبديّة؟"

الكاهن واللاوي، العالمان بالشريعة هما أيضًا، لم يفهما الشريعة الإلهيّة في جوهرها، بل عرفاها فقط على مستوى المعرفة والعقل، لا على مستوى الارادة والقلب. أمّا **السامريّ**، المعتبر عدوًّا لهم، فقد فهم جوهر الشريعة

بممارسته المحبّة والرحمة. ذلك أنّ شريعة المحبّة مكتوبة أساسًا في قلب الانسان لا في عقله. والشريعة تلزم القلب لا العقل فقط. فالايمان معرفة وطاعة في آن لكي يكون الانسان مؤمنًا. فالايمان هو **خضوع العقل** بقبول ما يوحي الله وما يقول، **وطاعة الارادة** بالعمل وفقًا لوحي الله وقوله، **ومحبّة القلب** للّه الموحي والمتكلّم.

■ ثانيًا، البطريركيّة المارونيّة ولبنان

عهد العثمانيّين (١٥١٦-١٩١٨): الحقبة ما بين ١٥٨٠-١٥٩٧

البطريرك سركيس الرزّي (١٥٨٠-١٥٩٧)

كان أسقفًا حبيسًا في محبسة دير قزحيّا في وادي قاديشا. انتخبه الأساقفة بطريركًا سنة ١٥٨٠ بحضور القاصدين البابويين اليانو وبرونو اليسوعيين، وطلبوا له درع التثبيت من البابا غريغوريوس الثالث عشر، فمنحه إيّاها بالبراءة الحبريّة المؤرّخة في ٣١ آذار ١٥٨٣. تميّز عهد البطريرك سركيس الرزّي بالأعمال التالية:

١. **إنشاء مدرسة رومة سنة ١٥٨٤** على يد البابا غريغوريوس الثالث عشر قبيل وفاته سنة ١٥٨٥. وقد رتّب لها مدخولاً مناسبًا خلفه البابا سيكستوس الخامس (١٥٨٥-١٥٩١).

٢. **تثبيت عقيدة الموارنة** وتبديد الاتهامات والتزويرات بواسطة القاصد الرسوليّ الأب إيرونيموس دنديني ومعاونه الأب غابيوس برونو وكلاهما يسوعيّان، في عهد البابا كليمنضوس الثامن (١٥٩٢-١٦٠٥) الذي كتب إلى البطريرك بتاريخ ١٠ نيسان ١٥٩٥ رسالة امتدح فيها

إيمان الموارنة الكاثوليكيّ وإخلاصهم الممتاز للكرسيّ الرسوليّ. وقد فنّد الأب دنديني التّهم المزوّرة التي ألصقت بالموارنة.[١]

٣. **حسن العلاقة مع الأمير فخر الدين الثاني** الذي بدأ عهده سنة ١٥٩١، وكان يعيش قبل تولّيه الإمارة في بلّونه-كسروان لدى آل الخازن. فعيّن الشيخ أبا نادر الخازن مدبّرًا لأموره في إمارة بعقلين، بغية إزالة آثار التعصّب الطائفيّ، وتوحيد القوميّات المذهبيّة، وتأسيس قوميّة لبنانيّة موحّدة. ثمّ وسّع الأمير فخر الدين الثاني سلطته حتّى ضمّت إمارات أخرى.

٤. **عقد مجمع قنّوبين سنة ١٥٩٦**، بحضور القاصد الرسوليّ الأب إيرونيموس دنديني والأساقفة والاكليروس والأعيان والمشايخ والمقدّمين وكثير من الشعب. فحدّد هذا المجمع العقيدة المارونيّة في ١٣ نقطة، ووضع مقرّراته في ٢١ قانونًا.[٢]

دام المجمع يومين فقط (١٨-٢٠ أيلول ١٥٩١) خوفًا من الأتراك الذين كانوا قد شعروا بأنّ هناك اجتماعًا كبيرًا يعقد في وادي قنّوبين، وعلى رأس المجتمعين مندوب بابويّ غريب عن البلاد.

ولقد وضعت قوانين المجمع حدًّا لبعض العادات الذميمة التي طرأت في بعض الأطراف المأهولة بالموارنة، إمّا لجهل الكهنة، وإمّا لمجاورة المنشقّين لهم واختلاطهم بهم.

(١) أنظر الأباتي بطرس فهد: **بطاركة الموارنة وأساقفتهم في القرن السادس عشر**، ص ١٢٧.
(٢) المرجع نفسه، ص ١٢٩-١٣٤.

■ **ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ**

تتقبّل الخطّة الراعويّة وجهًا آخر من هويّة العائلة المارونيّة، كما رسمها النصّ المجمعيّ العاشر: "**العائلة المارونيّة**". هذا الوجه هو علاقة العائلة بالأرض وبالقيم الانسانيّة.

١. **تعلّقت العائلة المارونيّة بالأرض**. نحتتها، زرعتها، كتبت عليها تاريخها. فعلّمتها الألفة والتعاون. عاشت منها بعرق الجبين وخبز الكرامة، وتعلّمت روح البساطة والقناعة والثبات والعطاء. ووطّدتها على الحريّة (الفقرة ٨ و٩).

٢. تمسّكت العائلة المارونيّة بالقيم الانسانيّة وربّت أجيالها عليها. وهي:

أ- **نظام الأبوّة:** الأب هو المرجعيّة في العائلة. إنّه "ربّ العائلة"، وسندها وضامن وحدتها. وكانت المرأة-الزوجة والأمّ إلى جانبه في السرّاء والضرّاء، تعاونه وترافقه. وساهمت بدورها، بعرق جبينها وتعبها، في إعالة العائلة. وتحمّلت الدور الأساس في تربية الأولاد بمسؤوليّة وسهر، دونما تعب، حتّى قيل: "الأمّ كتاب الحياة" من دون كلمات. وبفضل نظام الأبوّة المكمّل بالأمومة، تحفظ العائلة المارونيّة للمسنّ احترامًا كبيرًا، وللكاهن والراهب والراهبة إجلالاً رفيعًا (الفقرات ١٠-١٣).

ب- **الجمع بين العلم والدين:** أعزّ ما عند العائلة المارونيّة التضحية بالمال من أجل تعليم أولادها مقرونًا بالتربية الدينيّة والأخلاقيّة (الفقرة ١٤).

٣. واجهت العائلة المارونيّة **بعض التحوّل** بسبب استبداد الحكم العثمانيّ وظلم بعض الأمراء المستفيدين من خلال الإمعان في تحصيل الجزية

وفرض السخرة وهيمنة بعض العائلات على المجتمع بشيء من الاقطاعيّة؟ وبسبب تدخّل دول أجنبيّة لدعم طائفة دون أخرى، لا من أجل الحماية، بل لمصالح خاصّة. كلّ هذه الأسباب أثّرت على العائلة في قيمها ووحدتها وتماسكها (الفقرة ١٥ و١٧). وتفاقم الأمر مع الحرب العالميّة الأولى (١٩١٤-١٩١٨) التي أفقرت العائلة المارونيّة، وازداد العوز وتبدّل الواقع السياسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ، ما زاد من تشتّت العائلة والتحوّل في تقاليده.

***

صلاة

أيّها الربّ يسوع، لقد دعوتنا، نحن المؤمنين بك، لنشهد لمحبّتك في عالمنا، ولنكون روّاد حضارة المحبّة. أعطنا النعمة لنعيش حسب وصيّة رسولك القدّيس بولس، فنجعل المحبّة دينًا علينا تجاه كلّ إنسان. إجعلنا سامريًّا صالحًا فننحني على جراح أيّ إنسان نلتقيه. ما أكثر الذين يعانون بيننا من جراح حسّية ومعنويّة وروحيّة. إحفظ عائلاتنا وسط المحن لتظلّ الخليّة الصالحة للكنيسة والمجتمع، فنرفعَ لك أيّها المسيح ولأبيك المبارك وروحك الحيّ القدّوس كلّ مجد وشكران، الآن وإلى الأبد، آمين.

الأحد الثامن عشر من زمن العنصرة

الكنيسة كرم الله وكرمة المسيح

إنجيل القدّيس مرقس ١/١٢-١٢

وبدأَ يُكَلِّمُهُم بأَمْثَال: «رَجُلٌ غَرَسَ كَرْمًا، وسَيَّجَهُ، وحَفَرَ مَعْصَرَةً، وبَنَى بُرْجًا، ثُمَّ أَجَّرَهُ إِلى كَرَّامِين، وسَافَر. ولَمَّا حَانَ الأَوَان، أَرْسَلَ عَبْدًا إِلى الكَرَّامِين، لِيَأْخُذَ مِنْهُم حِصَّتَهُ مِنْ ثَمَرِ الكَرْم. فقَبَضُوا عَلَيْهِ وضَرَبُوه، ورَدُّوهُ فَارِغَ اليَدَيْن وعَادَ رَبُّ الكَرْمِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِم عَبْدًا آخَر، وهذَا أَيْضًا شَجُّوا رَأْسَهُ وأَهَانُوه. وأَرْسَلَ آخَر، وهذَا أَيْضًا قَتَلُوه. ثُمَّ أَرْسَلَ غَيْرَهُم كَثِيرِين، فضَرَبُوا بَعْضًا، وقَتَلُوا بَعْضًا. وبَقِيَ لَهُ وَاحِد، هُوَ ابْنُهُ الحَبِيب، فَأَرْسَلَهُ أَخِيرًا إِلَيْهِم وقَال: سَيَهَابُونَ ابْنِي. ولكِنَّ أُولئِكَ الكَرَّامِينَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُم: هذَا هُوَ الوَارِث! تَعَالَوْا نَقْتُلُهُ، فَيَكُونَ المِيرَاثُ لَنَا. فقَبَضُوا عَلَيْه، وقَتَلُوه، وأَخْرَجُوهُ مِنَ الكَرْم. فمَاذَا يَفْعَلُ رَبُّ الكَرْم؟ سَيَأْتِي ويُهْلِكُ الكَرَّامِين، ثُمَّ يُسَلِّمُ الكَرْمَ إِلى آخَرِين. أَمَا قَرَأْتُم هذِهِ الآيَة: الحَجَرُ الَّذي رَذَلَهُ البَنَّاؤُونَ هُوَ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَة؛ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ كانَ هذَا، وهُوَ عَجِيبٌ في عُيُونِنَا!؟». وكَانُوا يُحَاوِلُونَ أَنْ يُمْسِكُوه، لأَنَّهُم أَدْرَكُوا أَنَّهُ قَالَ هذَا المَثَلَ عَلَيْهِم. ولكِنَّهُم خَافُوا مِنَ الجَمْع، فَتَرَكُوهُ ومَضَوا.

***

مع هذا الأحد الثامن عشر ينتهي زمن العنصرة الذي هو زمن الكنيسة، "كرم الله" الجديد. لقد نصبه المسيح الربّ، بدلاً من الكرم القديم. وسلّمه إلى كرّامين جددٍ هم رعاة الكنيسة. في اليوم التالي للأحد المقبل يصادف عيد ميلاد العذراء، سيّدة الخلاص. مريم هي الأرض الطيّبة الذي نصب الله فيها شجرة الحياة، يسوع المسيح، الذي تفرّع منه الكرم الجديد.

■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

١. كرْم الله

هو في الأساس شعب الله القديم المعروف في كتب العهد القديم "ببيت إسرائيل" (أشعيا ٥/٧). لوحة الكرم مأخوذة من النبيّ أشعيا، حيث الله يلوم كرمه- شعبه لأنّه كان ينتظر منه أن يثمر عنبًا، فأثمر حصرمًا برّيًّا. غضب الربّ وأعلن: "والآن لأعلمنّكم ما أصنع بكرمي. أزيل سياجه فيصير مرعى، وأهدم جداره فيصير مداسًا، وأجعله بورًا لا يُقضب ولا تُقلع أعشابه، فيطلع فيه الحسك والشوك، وأوصي الغيوم ألاّ تمطر عليه مطرًا" (أشعيا ٥/٥-٦)

هذه حال كلّ إنسان وعائلة ومجتمع لا يثمر ثمار الله. **فالانسان** مخلوق على صورة الله ومزيّن بعقل هو الطاقة لبلوغ الحقيقة والعيش بموجبها، وبإرادة هي الطاقة لصنع الخير وتجنّب الشرّ، وبقلب هو الطاقة للحبّ والرحمة والحنان فينبذ كلّ أنانيّة وحقد وضغينة. **والعائلة** هي صورة الله الثالوث، جماعة حبّ وحياة، تتجسّد فيها محبّة الله وقدرته على نقل الحياة البشريّة وتربيتها وتوجيهها إلى الخلاص. **والمجتمع** هو عائلة الله التي أسكنها الأرض، بتنوّع أفرادها والمواهب، ليعيشوا بسعادة وأخوّة وانسجام وتعاون.

كلّ إهمال "لكرْم" الانسان أو العائلة أو المجتمع، هو إنكار لصاحب الكرم

الذي هو الله، وتحدٍّ له، ورفضٌ لتدبيره. فيصاب هذا الكرْم بما أصيب به الكرم الموصوف في نبوءة أشعيا.

صورة كرم الله نجدها أيضًا في **نبوءة هوشع**: "إنّ إسرائيل كرمة وافرة يثمر ثمرًا لنفسه. وعلى حسب كثرة ثمره كثّر المذابح، وعلى حسب حسن أرضه حسّن الانصاب. ولكن تقسّمت قلوبهم- بين عبادة الله والبعل- والله يحطّم مذابحهم ويخرّب أنصابهم" (هوشع ١٠/١-٢). ونجدها في **نبوءة أرميا**: "إنّي غرستكِ أفضل كرمة كلّها من زرع أصيل. فكيف تحوّلت لي إلى نبات بريّ، وإلى كرمة هجينة؟" (أرميا ٢/١٢).

لكنّ الشعب التائب إلى الله، أكان إنسانًا فردًا أم عائلة أم مجتمعًا، يصلّي مع داود الملك: "لماذا، يا ربّ، كسرت سياج كرمتك، فقطفها كلّ عابر سبيل؟ خنزير الغاب أتلفها، ووحش الحقول رعاها. إرجع يا الله. تطلّع من السماء وأنظر. وافتقد هذه الكرمة. واحمِ ما غرست يمينك" (مز ٨٠/١٣/١٥).

الربّ يسوع في إنجيل اليوم يلوم الكرّامين وهم لدى الشعب اليهوديّ، أي كرم الله، الأحبار والكتبة والشيوخ الذين قتلوا ابن الله، مثلما قتل آباؤهم الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى كرمه لجمع غلاّته. فغضب الربّ منذرًا بإهلاك الكرّامين، وبتسليم الكرم إلى آخرين.

٢. الكنيسة الكرمة الجديدة

كرْم الله الجديد هو الكنيسة. **الرجل الغارس** هو المسيح، **الكرْم** هم المؤمنون، **السّياج** هو الوصايا ورسوم الله والانجيل، **المعصرة** هي مذبح أسرار الخلاص، **البرج** هو بيت الله ومكان سكناه أي الكنيسة حجرًا وبشرًا،

الكرّامون هم رعاة الكنيسة: الأساقفة والكهنة ومعاونوهم من شمامسة ورهبان وراهبات وعلمانيّين.

ويسمو الربّ يسوع من الكرْم إلى الكرمة : "أنا الكرمة وأنتم الأغصان"، التي يكشف في صورتها وجه الكنيسة- السّر- الشركة- الرسالة في إنجيل يوحنّا (١٥/٥-٨).

الكنيسة - السّرّ: "أثبتوا فيّ وأنا فيكم" (يو ١٥/٥). هي جماعة المؤمنين الذين يتّحدون بالمسيح، مثل الأغصان بالجذع، بواسطة الماويّة التي هي كلمة الانجيل ونعمة الأسرار والحياة الجديدة بالروح القدس.

الكنيسة - الشركة: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان. من يثبت فيّ وأنا فيه، يحمل ثمرًا كثيرًا، لأنّكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا" (يو ١٥/٥). هي جماعة المؤمنين الذين يتعاونون ويتكاملون في الخدمة، وينعشون بعضهم بعضًا، ويحافظون على وحدتهم التي هي مصدر قوّتهم وخصوبة رسالتهم.

الكنيسة - الرسالة: "بهذا يتمجّد أبي أن تحملوا ثمرًا كثيرًا، وتكونوا لي تلاميذ" (يو ١٥/٨). هي رسالة الخلاص التي أتمّها الربّ يسوع، وسلّمها للكنيسة. إنّها تحمل رسالة إنجيل الحقيقة والمحبّة والخلاص. فيتمجّد الله بالانسان الحيّ الذي يقبل هذا الانجيل.

العائلة مدعوّة على صورة الكنيسة لتكون كرمة الله. وكذلك ينبغي على المجتمع البشريّ أن يتكوّن وينمو بأبعاده الثلاثة: الاتحاد بالله من خلال كلّ فرد من أفراده (**السّر**)، والوحدة بين الأعضاء (**الشركة**)، وتحقيق الخير العامّ الذي منه خير الجميع وخير كلّ شخص (**الرسالة**).

مريم العذراء الكليّة القداسة التي نحتفل بعيد مولدها غدًا (٨ أيلول) هي بداية سرّ الكنيسة وصورة الانسان والعائلة والمجتمع. فالله الذي عصمها

من خطيئة آدم الأصليّة ودعاها لتكون أمّ ابن الله المتجسّد، المسيح التاريخيّ، وأمّ أعضاء جسده السرّيّ المولودين من المعموديّة ومن سرّ موته وقيامته، والذين يؤلّفون "المسيح الكلّيّ"، قد جعلها الأيقونة والمثال لعيش الاتّحاد بالله والوحدة مع الجنس البشريّ.

■ ثانيًا، البطريركيّة المارونيّة ولبنان

عهد العثمانيّين (١٥١٦-١٩١٨): الحقبة ما بين ١٥٩٧-١٦٠٨

عهد البطريرك يوسف الرزّي (١٥٩٧-١٦٠٨)

البطريرك يوسف الرزّي هو البطريرك الثالث على التوالي من عائلة الرزّي، وابن أخي البطريرك سركيس ورئيس محبسة دير مار أنطونيوس قزحيّا وأحد تلامذة المدرسة المارونيّة في رومة.

انتُخب في ٤ تشرين الأوّل ١٥٩٧ وأظهر غيرة كبيرة على الاصلاح في حياة الكنيسة المارونيّة. نذكر من بين أعماله:

١. **تطبيق مجمع قنّوبين ١٥٩٦:** ثبّت قوانينه وأضاف عليها ستّة قوانين جديدة أقرّها في اجتماع عقده مع جميع الأساقفة والقاصد الرسوليّ. تناولت هذه القوانين واجبات تختصّ بلبس الثياب البيعيّة عند القيام بالشعائر الدينيّة، بالبتوليّة الكهنوتيّة وزواج الكهنة، باللباس الأسقفيّ، بالكرازة والتعليم، وبالحصن الرهبانيّ.

٢. **تثبيت العلاقة مع الكرسيّ الرسوليّ:** كانت للبطريرك مراسلات مع حبرين رومانيين هما كليمنضوس الثامن الذي منحه درع التثبيت، والبابا بولس الخامس (١٦٠٥-١٦٢١) الذي وصف في كتاباته الموارنة "بالورد بين الأشواك في الشرق" (١)

---

(١) أنظر رسالته لدى الأباتي بطرس فهد: **بطاركة الموارنة وأساقفتهم**، ص ١٤٦-١٤٧.

٣. **اعتماد الحساب الغريغوريّ الجديد** في روزنامة الأعياد سنة ١٦٠٦.

٤. **تحسين العلاقة مع حاكم جبل لبنان يوسف باشا بن سيفا**، الذي ساعد البطريرك في ضبط شؤون الكنيسة المارونيّة، رادًّا إلى الطاعة المخالفين، وبانيًا دير القدّيس دوميط في داريّا الشمال، والجسر على نهر إهدن- كفرصغاب.

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تستعرض الخطّة الراعويّة واقع العائلة المارونيّة في الزمن الحاضر، وما يحمل من تحدّيات.

١. **الواقع** هو التغيّرات الكبيرة في العائلة المارونيّة التي حوّلتها من نموذج العائلة الكبيرة إلى العائلة النواتيّة، وأضعفت دورها الاجتماعيّ والاقتصاديّ والدينيّ والوطنيّ. أمّا أسباب التغيّرات فهي النموّ الإسكانيّ المطّرد والتحوّلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة، وتطوّر الظروف الحياتيّة، وواقع الهجرة (الفقرة ١٩).

٢. **أمّا التحدّيات** فثقافيّة ودينيّة واجتماعيّة وأخلاقيّة. نذكر منها.

أ- **الالتباس في جوهر الدين** بسبب التغيير في نمط حياة العائلة وتقاليدها، والاختلاط بثقافات وديانات أخرى، وانتشار العلمنة والتيّارات الإلحاديّة والتقدّم التقنيّ، وتفشّي الفساد الأخلاقيّ. فالتبس مفهوم الدين والايمان، وقلّت الممارسة الدينيّة، وكان خلط بين المسيحيّة والنزعة الانسانيّة (الفقرة ٢٠).

ب- **تفاقم النزعة الماديّة** بسبب النمط الاستهلاكيّ، ومنطق الربح السريع واختلال سلّم القيم. فكان الميل إلى روح الفرديّة والمادّيّة.

تجلّت هذه النزعة في تراخي السلوك الجنسيّ الذي تروّج له بعض وسائل الإعلام والملصقات الإعلاميّة، ما يشكّل تحديًا للقيم الروحيّة والأخلاقيّة. فإذا بالأهل يواجهون تحديًّا تربويًّا كبيرًا. وأدّت النزعة الماديّة إلى جعل التحصيل العلميّ غاية بحدّ ذاته ووسيلة للانتاج النفعيّ دونما اعتبار لنموّ الانسان بكلّ أبعاده ولخير المجتمع البشريّ. وعلى المستوى الاجتماعيّ تجلّت النزعة في الانطواء على الحاجات الذاتيّة، وتقليص العلاقات الانسانيّة، وتراجع في روح القناعة، واستقالة الوالدين من مسؤوليّتهم التربويّة، ما جعل الشبّان والشابّات في حالة ضياع وانحراف.

وعلى مستوى الحياة الروحيّة والرعويّة، نلحظ لدى العائلة المارونيّة وأفرادها تراجعًا في الممارسة الدينيّة وفي احترام يوم الأحد، يوم الربّ. لكنّ ثمّة وعيًا عند بعض العائلات، وقد أُنشئت مراكز للتثقيف الدينيّ يرتادها المؤمنون والمتزوّجون وأفراد العائلات. والكنيسة تعمل جاهدة على تطوير وسائل نقل الايمان ونشره بين أبنائها (الفقرات ٢١-٢٧).

***

صلاة

أيّها الربّ يسوع، لقد نصّبتَ الكنيسةَ كرمًا لك في حقل العالم، تطلّعْ من السماء وتعهّدْها بيمينك، لكي يحسنَ رعاتُها الكرّامون الاعتناءَ بها، فتثمرَ ثمار الحقّ والخير والقداسة والجمال. أنت يا ربّ، جعلتنا بالمعموديّة أغصانًا في كرمتك، فأرسل إلينا ماوية روحك القدّوس لنعطي ثمار الانجيل الذي وضعته روحًا وحياةً للانسان وللعالم. إحفظ العائلة والمجتمع ليعيشا

جمال سرّ الكنيسة بروح الشركة وخصوبة الرسالة. لك المجد أيّها الابن الفادي، ولأبيك المبارك وروحك الحيّ القدّوس كلُّ مجدٍ وشكر وإكرام، الآن وإلى الأبد، آمين.

صدر في السلسلة

- المسيح نور ينجلي للأمم (زمن الميلاد ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- نور إنجيل مجد المسيح (زمن الغطاس والتذكارات ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- معرفة حقيقة المسيح تحرّر (زمن الصوم الكبير ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- الانجيل قوّة الله لحياة جميع من يؤمن به (زمن القيامة ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- الشهادة لإنجيل نعمة الله (زمن العنصرة ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- كلمة الحقّ في الإنجيل تنمو وتثمر (زمن العنصرة - تابع - ٢٠٠٥- ٢٠٠٦)
- الشّهادة لإنجيل نعمة الله (زمن الصليب ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- إعلان إنجيل السّلام (زمن الميلاد ٢٠٠٦-٢٠٠٧)
- ليملأ سلام المسيح قلوبكم (زمن الدّنح أو الغطاس ٢٠٠٦-٢٠٠٧)
- السلوك اللائق بإنجيل المسيح (زمن الصوم الكبير ٢٠٠٦-٢٠٠٧)
- الإنجيل بشارة أبديّة لسكّان الأرض (زمن القيامة ٢٠٠٦-٢٠٠٧)

- **نادوا بإنجيلي في الخليقة كلّها** (زمن العنصرة ٢٠٠٦-٢٠٠٧)
- **فتح أذهانهم ليفهموا الكتب** (زمن العنصرة - تابع - ٢٠٠٦-٢٠٠٧)
- **الإنجيل فرح في الرجاء وثبات في الضيق** (زمن الصليب ٢٠٠٦-٢٠٠٧)
- **الكلمة صار بشرًا وسكن بيننا** (زمن الميلاد المجيد ٢٠٠٧-٢٠٠٨)
- **سرّ التقوى العظيم ظهر في الجسد** (زمن الغطاس أو الدنح ٢٠٠٧-٢٠٠٨)
- **الكلمة الخارجة من فم الله تحيي الإنسان** (زمن الصوم الكبير ٢٠٠٧-٢٠٠٨)
- **سرّ الله الذي بُشّرنا به** (زمن القيامة ٢٠٠٧-٢٠٠٨)
- **روح الربّ، روح الحريّة** (زمن العنصرة ٢٠٠٨ - الآحاد الثمانية الأولى)

هذه الأعداد تصدر في مجلّدات سنويّة

- **المجلّد الأوّل** يضمّ الأعداد: ١-٧.
- **المجلّد الثّاني** يضمّ الأعداد: ٨-١٤.

- مواهب الروح القدس





ISBN 978-9953-457-24-6